الإعجاز

العدد الخامس عشر -السنة الرابعة-شوال ١٤٣١ هـ-خريف ٢٠١٠ م

علمية - دينية - فصلية

تصدر عن منتدى الإعجاز العلمي في القرآن و السنة-لبنان

الأقمار الصناعية تشهد للنبي صلى الله عليه وسلم

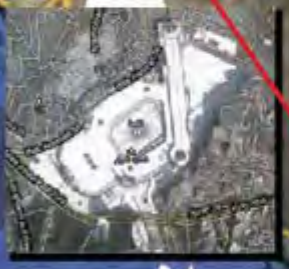

الحرم

جبل ضين

المسجد

Al Kura

Makkah (Mecca)

Khamis Mushayt

Abha

Jizan

صنعاء
Sana'a

الحديدة
Al Hudaydah

ذمار
Dhamar

جمعية علم وخبر ٢٧٩/اد/٢٠٠٥/تعديل ٥٤/اد/٢٠٠٧

الفهرس

العودة إلى الكتّاب	أ . صلاح سلام	٤
الأقمار الصناعية تشهد بنبوة محمدﷺ	الشيخ عبد المجيد الزنداني	٦
الإلحاد والانتحار وقوة تعاليم الإسلام	المهندس عبد الدائم الكحيل	١٠
قافية الرأس مركز النوم واليقظة. إعجاز علمي	فكرة وإعداد فراس نور الحق	١٨
اليأس خدعة من الشيطان	د. هارون يحيى	٢٦
الرحمن علّم القرآن	أ. باسم وحيد الدين علي	٢٩
الإعجاز التشريعي في الإسلام	بقلم الدكتور محمد عبد الرحمن المرعشلي	٣١
ذو القرنين شخصية حيرت المفكرين أربعة عشر قرنًا	الدكتور عبد المنعم النمر	٣٥
أداء الصلاة وأثره في جلب الراحة	سماء الفارسي	٤٢
الإعجاز العلمي في أعياد المسلمين	د. عبد الدائم الكحيل	٤٤
التربية البيئيّة في الإسلام	جهاد خير الدين قرقوتي	٤٦
الكلمة الطيبة	محمد فرشوخ	٦٥

رئيس التحرير:ع.ر.م. محمد فرشوخ
العلاقات العامة:الدكتور نادر الغزال
الاشراف الفقهي واللغوي:القاضي المهندس أسامة منيمنة

الهيئة الإدارية لـ «منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة» في لبنان:

الرئيس والمدير المسؤول: ع.ر.م. محمد فرشوخ
نائب الرئيس : د. نادر الغزال
أمين السر : الأستاذ بهيج مومنة
أمين الصندوق : الأستاذ باسم علي
المحاسب : الأستاذ زهير الجندي
مستشار : الاستاذ صلاح سلام
مستشار: النقيب د. غسان رعد
مستشار : د. خالد حسين

الاخراج والطباعة
مطابع اللواء

يوزع هذا العدد مجانًا

صدر هذا العدد بدعم من إدارة جريدة اللواء،
وبمؤازرة الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
للمساهمة في توسيع انتشار هذه المجلة، بنك عودة رقم الحساب:
٠١ ٠٦٢ ٠٠٢ ٤٦١ ٠٧٤ ٨٧٨

الافتتاحية

أ . صلاح سلام

العودة إلى الكتّاب

أتذكر من طفولتي حين كان جدي ورفاقه يتسامرون ويحدثون عن مآثرهم وعن قصصٍ من طفولاتهم وصباهم.

ومما كانوا يذكرونه ما كان يفعله شيخ الكتاب بهم حين لم تكن مدرسة ولا جامعة، كيف كان القرآن والحديث محور دراساتهم وكيف كانت قصص بطولات الصحابة وأخلاقهم ومرؤتهم وإيثارهم ومحبتهم وصدقهم تغلب على بقية الدروس، وكيف كانت أمثلة القواعد والعلوم والاجتماع تستقى من جمل القرآن والحديث؛ ومنها: (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد)، (إن الله لا يحب كل مختال فخور)، (إنما نطعمكم لوجه الله) إلى آخر الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

ولست هنا بصدد تذكر الطرائف والنوادر التي جرت معهم، والتي لم تكن بعيدة عن التمثل بالآيات والأحاديث كأن يقول أحدهم لصاحب الدعوة: يا فلان اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم، فيرد عليه الداعي: أخرج منها فانك رجيم؛ أو أن يذكّر شيخ الكتاب من يعلو صوته في الحصة بقول الله تعالى: إن أنكر الأصوات لصوت الحمير...

الذي استوقفني هو الفارق في الطريقة بين إعداد الفتيان في تلك الأيام وبين هذه الأيام التي كثرت فيها المدارس وتراكمت فيها الكتب وتشعبت بها العلوم. واذا بنا نجد العنصر البشري يمشي القهقرى في أخلاقه وفي أدائه وفي نظرته الى الأمور.

اختفت البشاشة عن الملامح والبشر عن الوجوه والابتسامة عن الشفاه وغاب تبادل السلام بين الناس.

وصار الناس يمرون بصاحب الحاجة أو بالمصاب فلا يكترثون فحسب، بل يتوقفون للشماتة وليس لتقديم المساعدة.

صارت الناس تسأل عن دين المحتاج ومذهبه قبل أن تفكر بتقديم المساعدة إليه. وصار المحتاج ينظر إلى المقتدر على أنه الغريم والعدو والعلة التي أوصلته إلى طلب الحاجة.

صار الفتيان يهزأون بالعاجز والمعوّق والعجوز. ولم يعد للطريق حرمة ففيها القاذورات وعبرها تتعرض الفتيات لشتى انواع المضايقات.

لم نعد نسمع بالأمانة فمن عثر على محفظة أخفاها، ولم يعد للمروءة مكان فلا منقذ ولا من ينقذون.

صارت السرقة تسمى شجاعة والاعتداء يسمى إقدامًا.

ما السبب يا ترى؟

هل هي الحرب الأهلية؟ أم المناهج المدرسية حيث اختفت من كتب القراءة كل مشاهد القيم والمثل العليا ليحل محلها وصف الطبيعة وهطول الامطار وخرير الانهار؟

أم هل هو فقدان المربين؟ لأن لا حاجة لأحد بهم بعد اليوم. أم هو العالم المادي الذي نراه في المسلسلات الفضائية والأفلام السينمائية. أم هو ذلك الشحن الطائفي والمذهبي الذي يؤجج النفوس ويلهب المشاعر حتى نسي الناس العدو الحقيقي وصار ابن الحي والبلدة والبلد خصمًا عنيدًا وعدوًا لدودًا.

رحم الله أيام الكتّاب فقد كان المربي على بساطته وفطرته يستند إلى كلام الله وكلام رسول الله لاعداد الناشئة فعلام يستند المعلمون والأهلون اليوم؟

كلمة العدد

أكبر إعجاز

بات من المتعارف عليه أن المعنى الأساسي للإعجاز هو أن الله عز وجل أعجز خلقه عن أن يأتي أحدهم بشيء مما أتى به سبحانه وتعالى.

وأن هدف الإعجاز لم يكن ولن يكون المماحكة أو المفاضلة، بل الوصول بالانسان إلى الايمان واليقين بأن لهذا الكون خالقًا واحداً له الاسماء الحسنى والصفات العلى، تجب له الطاعة والاقرار بالعبودية.

ومن تمكن من عرض إعجاز ما بطريقة تفضي إلى اقامة الحجة فقد أعجز واذا افضت هذه الطريقة إلى اعتراف المنكر بالألوهية والوحدانية فقد أنجز.

أما الإعجاز الأكبر فهو الذي يوصل إلى الهدف النهائي متخطيًا إقامة الحجج وإبطال الذرائع وتحطيم الأصنام الحسية والمعنوية.

الإعجاز الأكبر هو في أن تنجح المحاولة وتبلغ الغاية القصوى وهي الدلالة على الله واعادة الضال إلى هداه والمسلم إلى تقواه والملحد إلى اعتناق الاسلام والاعتقاد بالأركان وتطبيق شعب الايمان. كثر هم الذين توقفوا عند تذكير المسلمين بالاسلام والمؤمنين بالايمان والمحسنين بالاحسان. وقلة هم الذين تمكنوا وبفضل الله من تطوير العقيدة عند الناس والارتقاء بهم من الحسن إلى الأحسن. وفي ذلك قال ﷺ» لا بورك لي بشروق شمس يوم لم ازدد فيه إلى الله قربًا «. وذروة الإعجاز هو القدرة على نقل ما في القلب إلى قلبٍ عبدٍ لم يعرف الله بعد، ومن ذلك قصة دخول النبي على فتى يهودي يحتضر، تمنى والد اليهودي على النبي ان يعين الفتى في تلك اللحظة الحرجة. فقال النبي يا فتى قل لا اله الا الله محمد رسول الله. فنظر الفتى الى أبيه فأومأ له بالايجاب فقال كلمة الخلاص هذه وأسلم الروح. وخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي انقذ بي نسمةً من النار».

الإعجاز الأكبر هو في قول النبي ﷺ لسيدنا علي كرم الله وجهه: يا علي لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك مما طلعت عليه الشمس وما غربت.

وأختم بسؤال جوابه عند القراء: ما الذي يفعله الناس اليوم؟ هل يدخلون الناس إلى الدين أم يخرجونهم منه؟

رئيس التحرير

الأقمار الصناعية تشهد بنبوة محمد ﷺ

الشيخ عبد المجيد الزنداني*

أمر الله المسلمين أن يتجهوا في صلاتهم إلى قبلة واحدة هي الكعبة المشرفة في مكة المكرمة فقال تعالى: ﴿ ***فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره*** ﴾[1].

ومعنى ﴿ ***فول وجهك شطر المسجد الحرام*** ﴾ أي قبله كما قاله المفسرون[2].

أما الذي يصلي وهو يشاهد الكعبة فقد أمر بأن يتجه بجسمه نحو عين الكعبة.

فعن ابن عباس قال لما دخل النبي ﷺ البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع ركعتين في قبل الكعبة وقال هذه الكعبة[3].

وقد حكى القرطبي الإجماع على أن استقبال عين الكعبة فرض على المعاين[4].

وإذا كانت مشاهدة الكعبة فضيلة يؤجر عليها المسلم كما ثبت ذلك من قول ابن مسعود[5]: فإن الذي يصلي إلى عين الكعبة أكمل توجها نحو القبلة من غيره.

وعندما دخل اليمنيون في دين الله أفواجاً[6] أرسل لهم معلمين يعلمونهم الدين، كان منهم علي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، وأبو موسى الأشعري، وعبر بن يحنس وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

وقد أمر رسول الله ﷺ وبر بن يحنس الخزاعي الذي وجهه إلى صنعاء أن يبني لهم مسجداً، عرف بمسجد صنعاء، وحدد الرسول ﷺ أوصاف المسجد، فحدد موضعه في صنعاء، وحدد علامة واضحة هي «**جبل ضين**» الذي يبعد عن صنعاء حوالي (٣٠)كم وبتحديد جبل ضين حدد لهم زاوية الميل بين موضع المسجد والجبل كما حدده – أي الجبل – جهة القبلة المسجد.

ولما كان الرسول ﷺ – المعصوم من الخطأ – هو الذي حدد الصفات التي يكون عليها المسجد من حيث دقة الموقع، وزاوية الميل نحو الكعبة، وجهة المسجد بالنسبة للكعبة، فلا شك أن هذا التوجيه سيكون دقيقاً، لذلك كان أهل اليمن ولا يزالون يعتبرونه أفضل مساجد اليمن، لأنه بني طبقاً لتوجيهات الرسول ﷺ ووصفه[7].

وإذا كان من أهم صفات المسجد ضبط قبلته نحو الكعبة، فسنرى في هذا البحث كيف حدد الرسول ﷺ الأوصاف والمعالم التي جعلت المصلى في مسجد صنعاء وكأنه يراها وهذا من تمام بناء المسجد.

وبهذا الوصف الدقيق من الرسول ﷺ يكون قد حدد خطاً مستقيماً من موضع مسجد صنعاء إلى الكعبة في المسجد الحرام بمكة المكرمة.

الشروط المطلوبة لرسم خط بين مدينتين متباعدتين:

إن المسافة بين صنعاء ومكة هي (٨١٥كم) تقريباً فإذا أردنا رسم خط مستقيم بين مكة وصنعاء فلا بدّ مما يلي:

المرتفعات والمنخفضات على سطح الأرض

خطوط الطول والعرض على الكرة الأرضية

أ. وجود خريطة تعتمد على الصور الحقيقية لسطح الأرض المأخوذة بالطائرات أو الأقمار الصناعية وذلك لنتمكن من تحديد موقع المسجد. وموقع مكة تحديداً دقيقاً.

ب. لا بد من معرفة خطوط الطول وخطوط العرض على سطح الكرة الأرضية لمعرفة زاوية الميل بين الموقعين بالنسبة للشمال المغناطيسي.

ج. لابد من معرفة مقدار ارتفاع مكة وصنعاء عن سطح البحر لنتمكن من معرفة درجة الإنحناء الناتج عن السطح الكروي لسطح الأرض.

فالخريطة المسطحة للأرض لا تمثل الحقيقة لأن الأرض كروية وليس مسطحة، ووضع الخرائط المسطحة – إذا كانت دقيقة –

تفقدنا المسافة أو الجهة بين أي موقعين متباعدين على سطح الأرض.

متى تمكن الإنسان من استيفاء هذه الشروط؟

١. لم يتمكن الإنسان من وضع الخرائط الدقيقة للأرض إلا في القرن العشرين الميلادي بعد أن صنع الطائرات والصواريخ بعيدة المدى التي تحمل الأقمار الصناعية وآلات التصوير الدقيقة، وغيرها من الأجهزة.

٢. ولم يتمكن الإنسان من وضع خطوط الطول والعرض الدقيقة للأرض إلا في القرن العشرين بعد أن تمكن من وضع الخرائط الدقيقة لسطح الأرض بأكمله – مشتملاً على البحار والجزر والقارات.

٣. ولم يتمكن من معرفة المرتفاعات والمنخفضات على سطح الأرض إلا في القرن العشرين بعد أن امتلك الأجهزة الدقيقة التي تحدد له إرتفاع كل جبل وانخفاض كل وادي على سطح الأرض.

هل توفرت هذه الشروط في زمن الرسول ﷺ

الجواب لا .. ويعرف كل عاقل فضلاً عن الباحثين والدارسين فتأمل إلى أول خريطة للأرض وضعها الإدريسي في عام (١١٥٤م) بعد الهجرة النبوية بحوالي خمس قرون ونصف لقد وضع اليمن جنوب شرق الجزيرة ووضع عُمان شمال شرق الجزيرة وتأمل في الخريطة التي وضعها (جيوفاني لردو) بعده بثلاثة وتأمل إلى خريطة الجزيرة العربية المأخوذة بالأقمار الصناعية لترى الفرق بين موقع مكة واليمن، فضلاً عن الفرق بين موقع مكة وصنعاء.

علما بأن الأدريسي وجيوفاني لردو من روّاد البشرية في رسم خريطة الأرض!! بعد زمن النبي ﷺ بقرون .

وكل هذه الشروط لم تتوفر للإنسان إلا بعد أربعة عشر قرناً من بعثة النبي ﷺ.

ملاحظة:

أول قمر صناعي اطلق في تاريخ البشرية هو سبوتنك (Sputnik) أطلقته روسيا في عام ١٩٥٧م.

وفي العام ١٩٥٨م اطلقت الولايات المتحدة قمرها الصناعي الأول الذي سمي بالمكتشف.

الرسول ﷺ يحدد احداثيات، وقبلة مسجد صنعاء:

وقبل أربعة عشر قرناً من الزمان حدد الرسول ﷺ

الجزيرة العربية للأدريسي عام ١١٥٤م

خريطة الأرض للأدريسي عام ١١٥٤م

إحداثيات مسجد صنعاء فحدد الرسول ﷺ موقع المسجد ومكانه، وحدد الزاوية الصحيحة بالنسبة لمكة، كما حدد القبلة الدقيقة للكعبة.

مسجد صنعاء وأمر النبي ﷺ ببنائه:

أولاً: ما جاء في كتب الحديث:

روى الطبراني في المعجم الأوسط[8] فقال: قال وبر بن يحنس الخزاعي قال لي رسول الله ﷺ: «إذا بنيت مسجد صنعاء فاجعله عن يمين جبل يقال له ضين».

قال الهيثمي[9] : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن، وقد رواه ابن السكن، وابن مندة كما نقله الحافظ في الإصابة[10].

فقول الرسول ﷺ : «فاجعله عن يمين جبل يقال له ضين» يحدد زاوية ميل المسجد الدقيقة نحو الكعبة.

ثانيا: ما جاء في كتب التاريخ:

قال الحافظ الرازي[11] في كتابه (تاريخ صنعاء).

أن رسول الله ﷺ أمر وبر بن يُحنس الأنصاري حين أرسله إلى صنعاء والياً عليها فقال: «ادعهم إلى الإيمان فإن اطاعوا لك به فاشرع الصلاة فإذا أطاعوا لك بها فمر ببناء المسجد لهم في بستان باذان من الصخرة التي في أصل غمدان واستقبل به الجبل الذي يقال له ضين».

فلما ألقى اليهم وبر هذه الصفة من النبي ﷺ: (في المسجد قدِم

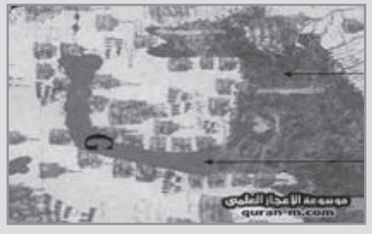

الجزيرة العربية في خريطة جيوفاني لرد

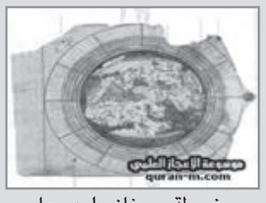

وخريطة جيوفاني لردو عام ١٤٥٢م

أبان بن سعيد فأسس المسجد على هذه الصفة في بستان باذان في أصل الصخرة واستقبل به ضينا).

وقال الرازي : كتب رسول الله ﷺ (إلى وبر يبني حائط باذان مسجداً ويجعله من الصخرة إلى موضع جدره ويستقبل بقبلته ضينا).

وقول الرسول ﷺ «فمر ببناء المسجد لهم في بستان باذان من الصخرة التي في أصل غمدانٍ» وما جاء في كتاب النبي ﷺ إلى وبر (يبني حائط باذان مسجداً ويجعله من الصخرة إلى موضع جدره) هو تحديد دقيق لموضع المسجد ومكانه.

وقول الرسول ﷺ : «واستقبل به الجبل الذي يقال له ضين» وقوله أيضا: «واستقبل به ضيناً» هو تحديد دقيق لجهة القبلة.

مسجد صنعاء وموقعه اليوم:

أولاً: لقد حافظ أهل اليمن قديماً وحديثاً على موقع المسجد الذي أمر به رسول الله ﷺ ان يبنى فيه وذلك بالحفاظ على معالم حدوده التي حدَّها رسول الله ﷺ لبنائهٍ مثل الصخرة الململمة احد حدّي المسجد كما مرّ ذكره انفاً وموقعه اليوم بين ساريتين من سواري المسجد تسمى أحدهما (المسمورة) والأخرى(المنقورة) وبعض أهل اليمن يغالون في تعظيم مسجد صنعاء فلا يقبلون اليمين من الخصم عند التنازع الشديد إلا عند المسمورة والمنقورة. أي في المسجد الذي وصفه رسول الله عليه وسلم وبيّن حدوده.

ثانيا: كل توسعة وقعت للمسجد لم يتأثر بها مسجدها القديم الذي حدّه رسول الله ﷺ بل كانت عن يمينه وشماله وأمامه ويفصل بينهما ساحة واسعة في الوسط وقد ذكر ذلك الرازي في كتابه تاريخ صنعاء .

ثالثا : وهذه بعض الصور من المسجد:

المحراب من الداخل وسط المسجد

المنقورة – الحد الأيمن

المحراب من الخارج المستقبل به ضين

جبل ضين المأمور باستقباله في الحديث

برنامج غوغل إرث (Google Earth) :

إن برنامج غوغل إرث – والموجود على شبكة الإنترنت – يوفر لجميع مشتركي الشبكة الوصول إلى معظم المواقع على الأرض – دول أو مدن أو قرى – مع تعيين هذه المواقع وتقريبها وتوضيحها وذلك عبر صور ثلاثية الأبعاد التقطت من الأقمار الصناعية والطائرات وهي صور حقيقية لها وذلك بحسب ما ورد على موقع البرنامج على شبكة الإنترنت (١٢).

تطبيق حديث رسول الله ﷺ على برنامج غوغل إرث (Google Earth).

أولاً: ذكرنا فيما سبق أن برنامج غوغل إرث نستطيع من خلاله أن نرى أجزاء واسعة من الأرض مع تحديد كل جزء وتقريبه وقد ذكر رسول الله ﷺ وحدّد في الحديث موضعين (موقع مسجد صنعاء – وجبل ضين) وهاذين الموضعين هما من ضمن المواضع التي تم تغطيتها بالأقمار الصناعية في برنامج غوغل إرث، وهذه صورتين لهما من البرنامج.

ثانيا: لو أنّا أخرجنا خطاً مستقيماً من وسط المسجد –

صورة من برنامج غوغل إرث للمسجد الحرام بمكة المكرمة

صورة من برنامج غوغل إرث للأرض

صورة عبر الأقمار الصناعية لجبل ضين في عمران وفي قمته معسكر صغير

صورة عبر الأقمار الصناعية للجامع الكبير في صنعاء

الموقع الذي حدده رسول الله ﷺ لبنائه – كما في الصورة أدناه؛ ثم أنطلقنا به على استقامته حتى نمرّ به من قمّة جبل ضين كما في الصورة التالية؛ ثم أرسلناه أيضا على استقامته خطاً واحداً منطلقاً من قبلة مسجد صنعاء الذي وصفه الرسول ﷺ والمحدّد الآن بالمسمورة والمنقورة مارّاً هذا الخط بقمة جبل ضين فإنّا سنجد أنه يصل إلى مكة أولاً ثم يستقرّ في جدار الكعبة متوسِّطاً ما بين الركن والحجر الأسود انظر إلى الصورة التالية؛ وعند الإرتفاع إلى أعلى نجد الخط على هذا النحو:

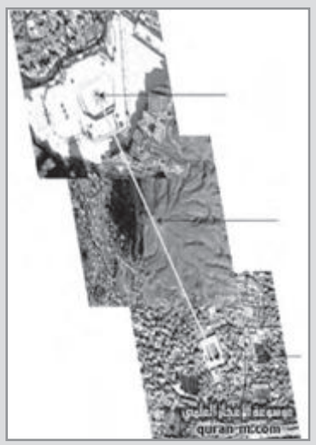

النتيجة خط مستقيم من المسجد الذي أمر النبي ﷺ: ببنائه ماراً بقمة جبل ضين ليصل إلى وسط الكعبة المشرفة

وجه الإعجاز في حديث النبي ﷺ:

□ لا يستطيع إنسان أن يرسم خطاً مستقيماً على السطح الكروي للأرض بين مدينتين متباعدتين إلا إذا توفرت له الخرائط الدقيقة المأخوذة بالطائرات والأقمار الصناعية وآلات التصوير الدقيقة، وعلم بخطوط الطول والعرض للكرة الأرضية وعرف إرتفاع المدن عن سطح البحر، ولم يتيسر كل هذا للإنسان إلا بعد أربعة عشر قرناً من زمن الرسول ﷺ لكن الرسول ﷺ وقبل ألف وأربع مائة عام حدد خطاً مستقيماً بين مسجد صنعاء وجبل ضين والكعبة عندما حدد أوصاف المسجد الذي أمر ببنائه في صنعاء.

□ فحدد الموضع والمكان بقوله: «فمر ببناء المسجد لهم في بستان باذان من الصخرة التي في أصل غمدان» فيما كتبه عليه الصلاة والسلام لوبر بن يحنس بأن «يبني حائط باذان مسجداً ويجعله من الصخرة إلى موضع جدره».

□ وحدد عليه الصلاة والسلام زاوية ميل مسجد صنعاء من جبل ضين والكعبة بقوله ﷺ «فأجعله عن يمين جبل يقال له ضين».

□ وحدد الجهة الدقيقة للكعبة باستعمال معلم واضح لأهل صنعاء (القديمة) هو جبل ضين.

□ وجاءت الطائرات والصواريخ والأقمار الصناعية تصور الأرض بمدنها وجبالها وبحارها فقدمت لنا صورة حقيقة للأماكن الثلاثة التي بينها رسول الله ﷺ مسجد صنعاء، جبل ضين الكعبة – فإذا بها تقع على خط مستقيم رغم بعد المسافة وكروية الأرض وعدم توفر الشروط والوسائل العلمية زمن النبي ﷺ.

□ وكل ذلك تم بعبارة سهلة وعلامة واضحة جلية وعمل متقن دقيق.

□ وعليه الصلاة والسلام لم يزر اليمن ولا رأى جبل ضين، ولا شاهد بستان باذان ولا الصخرة الململمة ولا يعلم الناس في زمنه المسافة التي تفصل بين مكة وصنعاء.

□ كل ما سبق يشهد أن ما قاله النبي ﷺ ليس في مقدور بشر في عصره وحتى بعد عصره بقرون طويلة وإنما هو الوحي والعلم الإلاهي وصدق الله القائل: ﴿ *وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى* ﴾.

---

* تم ألقاء هذه المحاضرة في مؤتمر الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والذي عقد في الكويت.

وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.quran-m.com

المراجع:
١. سورة البقرة آية – ١٤٤.
٢. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (فول وجهك شطر المسجد الحرام) قال شطره قبله وهو قول أبي العالية ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والربيع بن أنس وغيرهم.. (تفسير ابن كثير).
٣. صحيح البخاري ج ١/ص ١٥٥.
٤. فتح القدير ج١/ص ١٥٣.
٥. رواه البيهقي في شعب الإيمان ١٨٧/٦ رقم (٧٨٦٠).
٦. بعد أن ظهرت لهم معجزة صدق الرسول ﷺ عندما أخبرهم بمقتل كسرى في نفس الليلة التي قتل فيها، جاءت الأخبار بعد ذلك مصدِّقة لخبره عليه الصلاة والسلام.
٧. انظر كتاب (تاريخ صنعاء) للحافظ الرازي.
٨. المعجم الأوسط ج٢٥٣/١ رقم (٨٣١).
٩. مجمع الزوائد ج: ٢ ص :١٢.
١٠. الإصابة ج: ٦– ص ٥٩٩.
١١. هو الحافظ المحدث أحمد بن عبد الله بن محمد الرازي له عدّة مؤلفات منها (تاريخ صنعاء) توفي عام ٤٦٠هجرية.
١٢. للمزيد من المعلومات عن البرنامج راجع موقعه على هذا الرابط: (earth.google.com).

الإلحاد والانتحار وقوة تعاليم الإسلام

المهندس عبد الدائم الكحيل*

طالما تغنى الملحدون بإلحادهم وأفكارهم وحريتهم التي يتميزون بها عن غيرهم من المؤمنين «البسطاء» بنظرهم! وطالما أتحفونا بسيل من إبداعاتهم غير المنطقية يدَّعون فيها أنهم عقلانيون ويتعاملون مع الأمور بواقعية، وأنهم أكثر سعادة من غيرهم من المؤمنين الذين حكموا على أنفسهم بالانقياد للدين، وحرموا أنفسهم من ملذات الحياة!!

ولكن يأتي الواقع والعلم ليكذب هؤلاء ويفضح أساليبهم وكذبهم وأنهم مجرد أدوات للشيطان يستخدمها في حربه مع المؤمنين التي سيخسرها بلا شك، وأن هؤلاء الملحدين اتخذوا الشيطان ولياً لهم من دون الله، ليكونوا شركاء له في نار جهنم يوم القيامة.

من عظمة القرآن أنه لم يهمل الحديث عن هؤلاء بل وصفهم وصفاً يليق بهم، يقول تعالى: ﴿*اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ*﴾ [البقرة: ٢٥٧].

فماذا نرجو من إنسان أخرجه الشيطان من النور إلى الظلمات؟ إنه مثل إنسان ميت يائس لا حياة فيه ولا استجابة لديه، وهذا ما أثبتته الدراسات العلمية الجديدة!

الأبحاث العلمية تثبت

أن الملحدين أكثر الناس يأساً!

تبين في دراسة حديثة أن الملحدين هم أكثر الناس يأساً وإحباطاً وتفككاً وتعاسة!!! ولذلك فقد وجدوا أن أعلى نسبة للانتحار على الإطلاق كانت بين الملحدين

جزء من الدراسة المتعلقة بتأثير التعاليم الدينية على الانتحار، تأملوا معي كيف أن الباحث يؤكد أن هناك اختلافاً كبيراً بين الدول الإسلامية وبين أي دولة أخرى من دول العالم بشكل ملفت للانتباه! هذه النتيجة يا أحبتي تدحض إدعاء الملحدين أن الإسلام دين يأمر بالانتحار!!! هذه الدراسة قام بها الدكتور جوس مانويل والباحثة أليساندرا فليشمان وهي دراسة علمية شاملة استندوا إلى مراجع الأمم المتحدة الموثقة، وقد وضعتُ هذه الصورة هنا لزيادة التوثيق العلمي لأن الملحدين كلما جاءهم إعجاز علمي جديد قالوا بأن هذه النتائج ملفقة وغير صحيحة! ولذلك أنصح كل من في قلبه شك من هذا البحث أن يرجع إلى هذه الدراسة وغيرها من الدراسات العلمية التي أثبتناها في قائمة المراجع في نهاية البحث ليجد مصداق ما نقول.

http://www.med.uio.no/iasp/files/papers/Bertolote.pdf

والـلادينيين، أي الذين لا ينتسبون لأي دين، بل يعيشون بلا هدف وبلا إيمان.

فقد أكدت الدراسات العلمية المتعلقة بالانتحار أن أكبر نسبة للانتحار كانت في الدول الأكثر إلحاداً وعلى رأسها السويد التي تتمتع بأعلى نسبة للإلحاد. أما الدانمرك فكانت ثالث دولة في العالم من حيث نسبة الإلحاد حيث تصل نسبة الملحدين (واللادينيين) إلى ٨٠ ٪، وليس غريباً أن تصدر منها الرسوم التي تستهزئ بنبي الرحمة صلى الله عليه وسلم.

قوة التعاليم الإسلامية

تؤكد الدراسات العلمية على أن للتعاليم الدينية دور كبير في خفض نسبة الانتحار، وأن هذه التعاليم أقوى ما يمكن في الإسلام! ربما ندرك يا إخوتي لماذا حذر نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم من الانتحار في قوله: (من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن شرب سمًا فقتل نفسه، فهو يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه، فهو يتردى في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبداً) [رواه البخاري ومسلم]. إنه أخطر تحذير على الإطلاق عرفته البشرية!! فهل هذا النبي يدعو للقتل والإرهاب؟ أم أنه حافظ على حياة أمته وأتباعه بهذا الحديث الشريف؟ ومن إعجاز هذا الحديث أنه شمل الحالات الأساسية التي تشكل أكثر من ٩٠ ٪ من حالات الانتحار.

فلو تأملنا إحصائيات الأمم المتحدة نلاحظ أن معظم نسب الانتحار يكون بمسدس أو سكين، وهو ما أشار إليه الحديث بكلمة (من قتل نفسه بحديدة)، السبب الثاني هو تجرع سم أو استنشاق غاز أو أخذ حبوب مخدرة، أي طريقة كيميائية وهو ما أشار إليه الحديث بقوله: (ومن

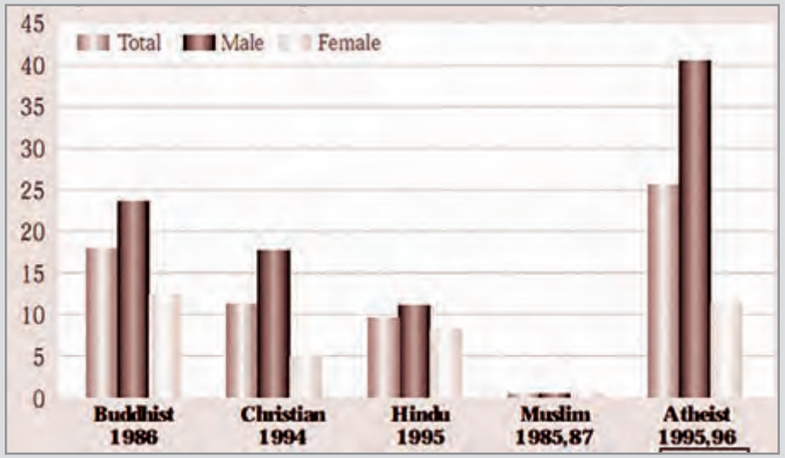

تؤكد هذه الدراسة العلمية أن أعلى نسبة للانتحار كانت بين الملحدين، ثم البوذيين ثم المسيحيين ثم الهندوس وأخيراً المسلمين الذين كانت نسبة الانتحار بينهم تقترب من الصفر. انظروا معي إلى العمود الذي يمثل نسبة الانتحار لدى الملحدين وهو أعلى نسبة لديهم، وتأملوا معي العمود الذي يمثل نسبة الانتحار بين المسلمين وهو أقل نسبة على الإطلاق، هل توحي لك هذه الحقيقة العلمية بشيء!!

شرب سمًا)، والسبب الثالث هو القفز من على جسر أو من أعلى بناء أي أن يرمي نفسه من مكان مرتفع وهو ما أشار إليه الحديث بقوله (ومن تردى من جبل)، انظروا كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يغفل عن مثل هذه الظاهرة فوضع العلاج المناسب والقوي لها مسبقاً!!

خطوات علاج الانتحار كما يراها العلماء اليوم

تؤكد الدراسة على أن نسبة الانتحار زادت كثيراً في الخمسين سنة الماضية، ولا يخفى علينا أن هذه الزيادة ربما تكون بسبب زيادة نسبة الإلحاد في الخمسين سنة الماضية. وأكدت دراسات أخرى على أن الدول التي تضع قوانين صارمة تعاقب فيها من يحاول أن يقتل نفسه أو من يساعده على ذلك، هذه الدول كانت نسبة الانتحار فيها أقل، أما الدول التي لا تضع قوانين

الملحدون هم أكثر الناس يأسًا

للدين دور كبير في خفض نسبة الانتحار

صارمة تعاقب من يحاول الانتحار مثل السويد والدانمرك بحجة «حرية التعبير» فكانت تتمتع بأعلى نسبة انتحار.

من هنا تؤكد الدراسات على أنه من الضروري لعلاج ظاهرة الانتحار لابد من التحذير منها ووضع عقوبة رادعة لها. إذاً هناك ثلاث خطوات تنصح بها الدراسة لعلاج هذه الظاهرة التي تقول فيها الأمم المتحدة أن عام ٢٠٢٠ سيكون عدد المنتحرين مليون ونصف، وأن ١٥-٣٠ مليون شخص سيحاولون الانتحار في عام واحد فقط، أي بمعدل جريمة انتحار واحدة كل ٢٠ ثانية، وبمعدل محاولة انتحار كل ثانية أو ثانيتين!! وهذا عدد ضخم جداً وغير مسبوق، لذلك يؤكدون في علاجهم لهذه الظاهرة على أهمية اتخاذ هذه الخطوات:

١- التحذير من الإقدام على مثل هذا العمل.

٢- الاهتمام بمن لديهم ميول انتحارية ومحاولة إعطائهم شيئاً من الأمل وعلاج اليأس لديهم، ومنحهم شيئاً من الرحمة والعطف.

٣- وضع عقوبات صارمة لمن يحاول الانتحار.

الاسلام يعالج كما يحذر ويردع

الخطوات العلاجية كما وضعها لقرآن

وسؤالي يا أحبتي: أليس هذا ما فعله القرآن عندما حذر من الانتحار ووضع علاجاً وعقوبة صارمة له؟ يقول تعالى: ﴿*وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا*﴾ [النساء: ٢٩-٣٠].

فقد وضع الله في هذه الآية الخطوات العلاجية الثلاث بكل دقة وموضوعية:

١- التحذير من الانتحار في قوله تعالى: (*وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ*).

٢- العلاج النفسي لليأس الذي يعاني منه المنتحر بنداء مفعم بالرحمة الإلهية من خلال قوله تعالى: (*إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا*).

٣- وضع العقوبة الرادعة والصارمة جداً من خلال قوله تعالى: (*فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا*).

فسبحان الله، حتى هذه الظاهرة لم يغفل عنها القرآن، بل حذر منها وأوجد العلاج المناسب لها والتحذير المناسب منها، وهذا ما ساهم في تخفيف نسب الانتحار في الدول الإسلامية إلى الحد الأدنى (أقل من ١ بالألف)، وهذا الكلام لا أقوله أنا يا أحبتي بل يقولونه بأنفسهم.

أتى الاسلام بالعلاج قبل ظهور المرض

يقول الدكتور جوس مانويل والباحثة أليساندرا فليشمان في بحثهما وبالحرف الواحد:

«إن نسبة الانتحار في الدول الإسلامية (بخلاف كل الدول الأخرى) تكاد تقترب من الصفر (أقل من واحد بالألف)، وسبب ذلك أن الدين الإسلامي يحرم الانتحار بشدة».

بعد كل هذه الحقائق والبراهين يقولون إن القرآن من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم! ولكن من أين جاء محمد صلى الله عليه وسلم بهذه المعلومات؟ من أخبره بخطورة هذه الظاهرة حتى يضع لها علاجاً بشكل مسبق؟ هل وجد هذه المعلومات في الكتب السائدة في زمانه والتي لا نكاد نجد للانتحار ذكراً فيها! إن الذي علمه يا أحبتي هو الذي أرسله ليكون رحمة للعالمين وهو الذي خاطبه بقوله: ﴿*وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ*﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

الأبحاث تثبت صدق قول النبي الأعظم (لا رهبانية في الإسلام)

وفي دراسة أجراها باحثون أمريكيون هي الأولى من نوعها عام ٢٠٠٤ وتهدف لدراسة علاقة الانتحار بالدين، أُجريت بعناية فائقة، وتم اختيار عدد كبير من الأشخاص الذين حاولوا الانتحار أو انتحروا بالفعل، ومن خلال سؤال أقاربهم وأصدقائهم ودراسة الواقع الديني والاجتماعي لهم، تبين أن أكثر المنتحرين هم الملحدون (واللادينيون) فقد جاؤوا على رأس قائمة الذين قتلوا أنفسهم ليتخلصوا من

حياتهم وتعاستهم!!

جاء بنتيجة هذه الدراسة الحقائق الآتية:

١- نسبة الانتحار لدى الملحدين أعلى ما يمكن!

٢- نسبة الانتحار كانت أعلى لدى غير المتزوجين.

٣- نسبة الانتحار قليلة بين من لديهم أطفال أكثر.

٤- الملحدون أكثر عدوانية من غيرهم.

٥- الإنسان المؤمن أقل غضباً وعدوانية واندفاعاً.

٦- الدين يساعد على تحمل أعباء الحياة والإجهادات ويقلل فرص الإصابة بالاضطرابات النفسية المختلفة.

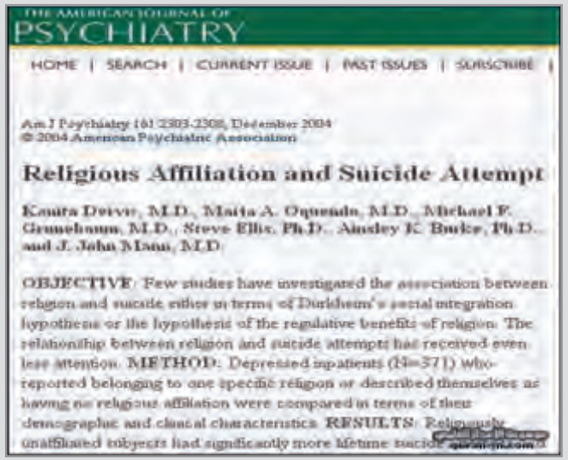
THE AMERICAN JOURNAL OF PSYCHIATRY

HOME | SEARCH | CURRENT ISSUE | PAST ISSUES | SUBSCRIBE

Am J Psychiatry 161:2303-2308, December 2004
© 2004 American Psychiatric Association

Religious Affiliation and Suicide Attempt

Kenira Dervic, M.D., Maria A. Oquendo, M.D., Michael F. Grunebaum, M.D., Steve Ellis, Ph.D., Ainsley K. Burke, Ph.D., and J. John Mann, M.D.

OBJECTIVE: Few studies have investigated the association between religion and suicide either in terms of Durkheim's social integration hypothesis or the hypothesis of the regulative benefits of religion. The relationship between religion and suicide attempts has received even less attention. **METHOD:** Depressed inpatients (N=371) who reported belonging to one specific religion or described themselves as having no religious affiliation were compared in terms of their demographic and clinical characteristics. **RESULTS:** Religiously unaffiliated subjects had significantly more lifetime suicide

دراسة ثانية هي الأولى من نوعها منشورة على مجلة طب النفس التي تصدر في أمريكا، والتي أثبتت وجود تأثير قوي للتعاليم الدينية على الحد من ظاهرة الانتحار، وأثبتت كذلك أن الزواج له تأثير قوي في علاج الانتحار وكذلك إنجاب الأطفال وكذلك السعادة والاستقرار والعلاقات الاجتماعية الجيدة.

http://ajp.psychiatryonline.org/cgi/content/abstract/161/12/2303

٧- الملحدون كانوا أكثر الناس تفككاً اجتماعياً، وليس لديهم أي ارتباط اجتماعي لذلك كان الإقدام على الانتحار سهلاً بالنسبة لهم.

٨- ختمت الدراسة بتوصية: إن الثقافة الدينية هي علاج مناسب لظاهرة الانتحار.

نستطيع أن نستنتج أن الإيمان والزواج وإنجاب الأطفال هي عوامل تبعد الانتحار عن أولئك الذين يعانون من اضطرابات نفسية تدفعهم للانتحار. لأن الدراسة وجدت أن الشخص المؤمن والمتزوج والذي لديه عدد من الأولاد أقل عرضة للإصابة بالاضطرابات النفسية. طبعاً هذه الدراسة أُجريت على أناس غير مسلمين، لأن «المسلمين هم أقل تعرضاً لهذه الظاهرة لأن الإسلام يحرم الانتحار بشدة». وقالت الدراسة: إن الدين عامل مهم في ردع الكآبة واليأس!

وسؤالي لك أيها القارئ الكريم: هل أدركت معي لماذا أمر نبي الرحمة بالزواج وإنجاب الأطفال؟ وهل أدركت لماذا قال: (لا رهبانية في الإسلام)؟ طبعاً ليحقق لنا الحياة السعيدة التي عجز الغرب عن تحقيقها على الرغم من التطور الطبي الهائل.(...)

الخلاصة:

سوف نستخدم نفس المعادلات التي يستخدمها الملحدون «في منطقهم الفاسد» ونقول:

١- المعادلة الأولى: بما أن الباحثين جميعاً وفي كل دراسات الانتحار يؤكدون على وجود علاقة بين الانتحار واليأس، وأن السبب الأساسي للانتحار هو اليأس والإحباط وعدم السعادة، وبما أن نسبة الانتحار هي الأكبر بين الملحدين، إذاً الملحد يائس ومحبط وكئيب وغير سعيد! أتوقع بأن هذه نتيجة علمية بسيطة لا تحتاج لمزيد من التفكير.

٢- المعادلة الثانية: بما أن الباحثين يؤكدون أن الإنسان السعيد والمطمئن في حياته هو أبعد الناس عن الانتحار، وبما أن نسبة الانتحار بين المسلمين تكاد تقترب من الصفر، إذاً أن المسلم هو أكثر الناس سعادة! وأكثر الناس بعداً عن اليأس!

ولذلك نقول للملحدين الذين يدعون أن الموت هو عملية تحلل طبيعية، لا تدَّعوا أنكم سعداء بإلحادكم، بل إن الله تعالى يعذبكم في الدنيا والآخرة، وانظروا إلى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿*إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ * وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ*﴾ [التوبة: ٨٤-٨٥].

ويحدثنا عن مصيرهم أيضاً، يقول تعالى: ﴿*أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ*

الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٦٣].

ولكن باب التوبة مفتوح أمام من كتب الله له الهداية!

فعلى الرغم من إلحاد هؤلاء وكفرهم واستهزائهم، فإن الله تعالى برحمته يفتح لهم باب التوبة، يقول تعالى: ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٤]. وهذه التعاسة التي يعيشونها هي نوع من أنواع العذاب الدنيوي الأليم الذي حدثنا عنه القرآن، أليست هذه معجزة قرآنية أن حدثنا الله عن واقع هؤلاء قبل أربعة عشر قرناً؟!

المؤمن أقل الناس غضبًا وعدوانية

وأخيراً رسالتي إلى كل ملحد:

انظر وأعمل عقلك وتأمل في الحقائق العلمية والدراسات المنشورة (أكثر من مئة دراسة منشورة بأيدي غير مسلمين) والتي تؤكد على أن الملحدين هم أكثر الناس يأساً وإحباطاً وتفككاً، وأن نسبة الانتحار بينهم هي الأعلى، وأن هؤلاء الملحدين هم أقل الناس سعادة واطمئناناً بسبب بعدهم عن الدين، فلماذا توهم نفسك بأنك سعيد بتحررك من قيود الدين؟ ارجع يا صديقي إلى لغة العقل والعلم والمنطق. وأنصحك بأن تعالج نفسك بهذا الدعاء الرائع:

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ

---

* وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.kaheel7.com

دراسة للباحثين جوس مانويل وأليساندرا فليشمان حول علاقة الانتحار بالدين:
http://www.med.uio.no/iasp/files/papers/Bertolote.pdf
Religious Affiliation and Suicide Attempt، 2004.
American Psychiatric Association،
http://ajp.psychiatryonline.org/cgi/co – tent/full/161/12/2303

بعض المراجع التي اعتمدت عليها الدراسة:

1. Stack S: The effect of religious commitment on suicide: a cross–national analysis. J Health Soc Behav 1983: 24:362–374
2. Breault KD: Suicide in America: a test of Durkheim's theory of religious family integration، 1933–1980. AJS 1986: 92:628–656
3. Kelleher MJ، Chambers D، Corcoran P، Williamson E، Keeley HS: Religious sanctions and rates of suicide worldwide. Crisis 1998: 19:78–86
4. Durkheim E: Suicide. Translated by Spaulding JA، Simpson G. New York، Free Press، 1951
5. Stack S، Lester D: The effect of religion on suicide ideation. Soc Psychiatry Psychiatr Epidemiol 1991: 26:168–170
6. Neeleman J، Wessely S، Lewis G: Suicide acceptability in African–and white Americans: the role of religion. J Nerv Ment Dis 1998: 186:12–16
7. Neeleman J، Halpern D، Leon D، Lewis G: Tolerance of su – cide، religion، and suicide rates: an ecological and individual study in 19 Western countries. Psychol Med 1997: 27:1165–1171
8. Hovey JD: Religion and suicidal ideation in a sample of Latin American imm – grants. Psychol Rep 1999: 85:171–177
9. Cook JM، Pearson JL، Thompson R، Black BS، Rabins PV: Su – cidality in older African Americans: findings from the EPOCH study. Am J Geriatr Psychiatry 2002: 10:437–446
10. Morphew JA: Religion and attempted suicide. Int J Soc Psychi – try 1968: 14:188–192
11. Malone KM، Oquendo MA، Hass G، Ellis SP، Li S، Mann JJ: Pr – tective factors against suicidal acts in major depression: reasons for living. Am J Psychiatry 2000: 157:1084–1088
12. Kok LP: Race، religion and female suicide attempters in Sing – pore. Soc Psychiatry Psychiatr Epidemiol 1988: 23:236–239
13. Nelson FL: Religiosity and self–destructive crises in the instit – tionalized elderly. Suicide Life Threat Behav 1977: 7:67–74
14. Linehan MM، Goodstein JL، Nielsen SL، Chiles JA: Reasons for staying alive when you are thinking of killing yourself: the Reasons for Living Inventory. J Consult Clin Psychol 1983: 51:276–286
15. Spitzer RL، Williams JBW، Gibbon M، First MB: Structured Clinical Interview for DSM–III–R—Patient Version 1.0 (SCID–P). Washington، DC، American Psychiatric Press، 1990
16. Overall JE، Gorham DR: The Brief Psychiatric Rating Scale. Ps – chol Rep 1962: 10:799–812
17. Zuckerman، Phil. «Atheism: Contemporary Rates and Patterns» chapter in The Cambridge Companion to Atheism، ed. by Michael Martin، Cambridge University Press: Cambridge، UK (2005).

هيئة نوم أصحاب الكهف والعلم الحديث

إعداد الأستاذ هشام طلبة*

صورة الكهف «سحاب» في الأردن الذي أوى إليه فتية أهل الكهف المذكورين في القرآن الكريم

قصة أصحاب الكهف من أعجب قصص القرآن الكريم وأكثرها تشويقًا. والحق أنها وبقية قصص تلك السورة فيها الكثير من أنواع الإعجاز التاريخي والعلمي، والبياني بديهة..

فكما أن قصة يوسف هي أحسن القصص، فإن قصص سورة الكهف هي أعجبها.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا . . .وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾.

ومن عجائبها أننا لو تدبرنا مطلعها لوجدناه يتسق تمامًا مع أواخر السورة السابقة لها. وهي سورة الإسراء، وهذا من إعجاز المناسبة في القرآن الكريم، حيث يبدو وكأنه سلسلة من حلق متداخلة حيث نقرأ في آخر آيات سورة الإسراء:- (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا .....). ثم نقرأ في أول لاحقتها سورة الكهف (الْحَمْدُ لِلَّهِ) وكأنه استجابة للأمر الإلهي السابق. ثم يقول في الآية الرابعة (وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) ليتسق مع قوله قبلها في الإسراء بعد الحمد.. (الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا).

محور المقال

وفي السورة العديد من أمثال تلك الصور المعجزة. لكن مقالنا يركز على الإعجاز في مسألة هيئة أصحاب الكهف وتقلبهم أثناء نومهم، حيث يقول تعالى ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ – ١٨.

تمهيد

قبل أن نستعرض آراء المفسرين لتلك الآية، نقول أنها تشمل أربعة أقسام أو مراحل يترتب بعضها على بعض بشكل معجز:-

١- « وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ».
٢- « وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ».
٣- « وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ».
٤- « لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ».

أولاً:- آراء المفسرين:-

أ- قولهم في مسألة أن يحسبهم المطلع عليهم مستيقظين بينما هم نيام...

ذكر فريق من المفسرين أن سبب ذلك هو بقاء عيونهم مفتحة وأن تعرضها للهواء هكذا أبقى لها !! ذهب إلى ذلك ابن كثير وتفسير الجلالين وصاحب التحرير والتنوير وغيرهم.

كما ذكر فريق آخر من المفسرين أن سبب ذلك هو انفتاح العيون أثناء النوم إضافة إلى كثرة تقلبهم أثناء نومهم أو أحد هذين العاملين. ذهب إلى ذلك البقاعي والزمخشرى والبيضاوي والشوكاني.

وأخيرًا ذهب فريق إلى أن سبب أن يحسبهم المطلع عليهم أيقاظًا بينما هم نائمون هو كثرة تقلبهم فقط. مثل تفسير « في ظلال القرآن « رحم الله صاحبه ومن قبله نقل الألوسي عن الزجاج مثل ذلك واستدل عليه بذكر ذلك بعد.

ب- قولهم في مسألة تقلب أصحاب الكهف وسبب ذلك:

ذكر أغلب المفسرين أن سبب ذلك هو ألا تأكل الأرض أجسامهم، أو ما يسمى اليوم قرحة الفراش. ذكروا ذلك نقلاً عن ابن عباس. ومنهم من زاد أنهم كانوا يتقلبون مرة واحدة في العام يوم عاشوراء أو مرتين!! ومنهم من قال أن تقلبهم كان كثيرًا مثل تفسير البقاعي وبعض ما طرحه الألوسي.

ج- قولهم في مسألة الكلب وحاله:

أسهب الكثير من قدامى المفسرين في وصف الكلب، لونه واسمه وأنه أنطقه الله بعد أن طردوه أول مرة!! وأنه كان أسداً وسمى الأسد كلبا!! كما روى البيضاوي والقرطبي وابن كثير، وهي روايات لم يذكروا لها أية أحاديث نبوية، وبالطبع لم يذكره النص القرآني.

أما تفسير التحرير والتنوير فقد قال في ذلك كلامًا يعتد به..... « لم يذكر التقلب لكلبهم بل استمر في مكانه باسط ذراعيه... وعدم تقليب الكلب عن يمينه وشماله يدل على أن تقليبهم ليس من أسباب سلامتهم من البلى وإلا لكان كلبهم مثلهم فيه.. وقد يقال: إنهم لم يفنوا وأما كلبهم ففني وصار رمة مبسوطة عظام ذراعيه «(الحق أنه لو كان قد بلى للاحظوا ذلك عند استيقاظهم).

د- قولهم فى مسألة « لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا»

أغلب التفاسير ذكرت أن سبب ذلك هو المهابة التي ألبسها الله إياهم، منها تفسير ابن كثير والجلالين والبقاعي والكشاف للزمخشري.

صورة لغلاف كتاب أسرار النوم

أما البيضاوي فقد أضاف إلى الهيبة انفتاح عيونهم ووحشة المكان. ومن المفسرين ما أعزى ذلك إلى طول شعورهم وأظفارهم، وهو ما حكاه القرطبي عن الزجاج والنحاس والقشيري.

أما سيد قطب فقال في « الظلال « كلامًا متفردًا شديد الإقناع:-

(ثم يمضى السياق يكمل المشهد العجيب. وهم يقلبون من جنب إلى جنب في نومتهم الطويلة. فيحسبهم الرائي إيقاظًا وهم رقود. وكلبهم – على عادة الكلاب– باسط ذراعيه بالفناء قريبًا من باب الكهف كأنه يحرسهم. وهم في هيئتهم هذه يثيرون الرعب في قلب من يطلع عليهم. إذ يراهم نيامًا كالأيقاظ، يتقلبون ولا يستيقظون. وذلك من تدبير الله كي لا يعبث بهم عابث، حتى يحين الوقت المعلوم).

ثانيا:- رأي العلم الحديث:-

أ- بالنسبة لما ذهب إليه بعض المفسرين في تفسيرهم لقوله تعالى: *(وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ)* بأن ذلك حدث لبقاء عيونهم مفتحة وأن ذلك ابقي للعين،لا يؤيده العلم الحديث أبًدا، كما أن النص لم يذكره، فالعين على العكس من الأنف والأذن تغلق عندما ننام. وكما أخبرني أ.د طارق عبده مصطفى أستاذ طب العيون

حماهم الله تعالى من الدخلاء بمنظرهم المرعب وبالكلب يحرسهم

– أن ذلك يجدد خلايا العين. وأن بقاء العين مفتوحة فترات طويلة يعرضها للجفاف ولذلك ترمش عيوننا، ناهيك عن تقرح القرنية. وكلنا يعلم أن الفراعنة في تحنيطهم لمومياواتهم كانوا ينتزعون العين لأنها أول الأعضاء المعرضة للتلف.

وأصحاب الكهف كانوا في موقع جبلي تكثر فيه الأتربة. فإذا كان الله قد ضرب على آذانهم المفتحة أصلاً، فمن باب أولى أن تغلق عيونهم على الأقل لأغلب الفترات.

ب- بالنسبة لمسألة تقلب أصحاب الكهف

ذكر بعض المفسرين – بغير سند من نص قرآني أو حديث شريف – أن أصحاب الكهف كانوا يتقلبون في العام مرة أو مرتين.

والعلم الحديث يقول العكس تمامًا. إذ يقول أستاذ علم النفس السويسري/ «ألكسندر بوربلى» Alexander A. Borbély, MD. في كتابه Secrets Of Sleep «أسرار النوم»[١] وتحديدا في الصفحة رقم ٢٥١:».. والنوم يكون عميقًا في البداية، ولكنه يصبح سطحيًا بدرجة أكبر كلما انقضت الساعات. وهذه الظاهرة نفسها تنعكس في حقيقة نشاهدها وهى أن النائم يغير أوضاعه بمعدل تكرار أكبر كلما زادت الفترة التي قضاها في النوم طولاً.!!».

الفتية بين متقلب وبين راقد

ما بالنا إذاً بمن ناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا؟ كيف يكون معدل تغيير أوضاعهم أثناء نومهم؟ أي كيف يكون معدل تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال؟ لا بد أنه كان معدلاً مرتفعًا جداً.

مما قاله بعض المفسرين كذلك ويرفضه العقل، قولهم أن سبب الرعب منهم طول شعورهم وأظفارهم. إذ لم يلحظوا ذلك حين استيقظوا، بل قالوا: لبثنا يوما أو بعض يوم.....

ثالثا:- الخلاصة:-

من أهم أوجه إعجاز القرآن أنه يفسر بعضه بعضًا. وهذه الآية الصغيرة التى نحن بصددها (الكهف ١٨) تشمل أربعة مراحل – كما أسلفنا – تترتب المرحلة فيها على سابقتها. فكأنما تقول الآية: وتحسبهم أيقاظًا وهم رقود « نتيجة « تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال (تقلبًا شديدًا)[٢]. وقد شكل هذا العامل – التقلب الشديد – مع عامل آخر هو كون «كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد « كأنما يحرسهم من الدخلاء. تسبب هذان العاملان *«التقلب، الكلب»* في أنه «لو أطلعت عليهم لوليت منهم فرارًا ولملئت منهم رعبًا».. إذ لو تخيلنا دخيلاً صعد إلى كهفهم فى هذا المكان المقفر فوجد أول ما وجد كلبًا يفاجئه عند المدخل ليس نائمًا على جنبه أو متقلبًا بل متحفزًا باسطاً ذراعيه[٣] فإذا لم يخيفه منظر الكلب ومد ببصره إلى الداخل لوجد منظرًا عجيبًا، سبعة آدميين ظاهرهم أنهم نائمون. لكنهم يتقلبون فى نومهم تقلبًا ليس كتقلب النائم كما يعرف الناس. إذ لو سكن هذا تقلب هذا. فيراهم « نيامًا كالأيقاظ، يتقلبون ولا يستيقظون»[٤] وهذه هيئة تثير الرعب فى قلب المطلع عليهم.

• فأنى لمحمد صلى الله عليه وسلم بعلم سيكولوجية النوم الحديثة ومعدل تقلب النائم؟!!

وتأمل معي دقة ترتيب فقرات هذه الآية و تماسكها ودقة ألفاظها..

وصلى الله على من نزل عليه هذا الكلام.

---

* كاتب وباحث في الإعجاز الغيبي للقرآن الكريم. وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع www.quran-m.com

(١) سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٦٣، ترجمة د / احمد عبد العزيز سلامة

(٢) هذا ما أثبته العلم الحديث وذكرناه آنفا كما يؤكد ذلك الإتيان بالفعل المضارع « نقلبهم « مما يفيد استمرار الحدث، وهذا ما رآه صاحب تفسير التحرير والتنوير.

(٣) قريبا من ذلك كان يفعله الفراعنة لإخافة اللصوص الذين يقتربون من مقابرهم وكنوزهم المدفونة. إذ كانوا يضعون فى مداخلها تماثيل لكلاب باسطة ذراعيها وكائنات مرعبة.

(٤) سيد قطب « فى ظلال القرآن.

قافية الرأس مركز النوم واليقظة.إعجاز علمي

فكرة وإعداد فراس نور الحق*

التوثيق الطبي الدكتور عبد الخالق شريبة **

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ

«يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاَثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ». متفق عليه.

خلاصة البحث:

أشار الحديث الشريف إلى أن الشيطان يعقد على مؤخرة رأس النائم ثلاثة عقد ثم يضرب عليها ليصده عن قيام الليل وصلاة الفجر بإنزال النعاس عليه فيستيقظ بعدها خبيث النفس كسلان، فإن هو استيقظ وذكر الله وتوضأ وصلى ركعتين أنحلت تلك العقد بإذن الله، وهذا إشارة واضحة إلى أن مركز التحكم باليقظة والنوم موجود في مؤخرة الرأس (مؤخرة الدماغ) وهذا ما أثبته العلم الحديث وهذا دليل واضح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مؤيدًا من الله بالوحي وانه نبي مرسل من عند من يعلم السر وأخفى. التفاصيل:

شرح النووي للحديث (شرح صحيح مسلم):

الْقَافِيَة: آخر الرَّأْس، وَقَافِيَة كُلّ شَيْء آخِرُهُ، وَمِنْهُ قَافِيَة الشِّعْر.

قَوْله: (عَلَيْك لَيْلًا طَوِيلًا) هَكَذَا هُوَ فِي مُعْظَم نُسَخ بِلَادنَا بِصَحِيحِ مُسْلِم، وَكَذَا نَقَلَهُ الْقَاضِي عَنْ رِوَايَة الْأَكْثَرِينَ (عَلَيْك لَيْلًا طَوِيلًا) بِالنَّصْبِ عَلَى الْإِغْرَاء، وَرَوَاهُ بَعْضهمْ (عَلَيْك لَيْل طَوِيل) بِالرَّفْعِ أَيْ بَقِيَ عَلَيْك لَيْل طَوِيل، وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاء فِي هَذِهِ الْعُقَد فَقِيلَ: هُوَ عَقْد حَقِيقِيّ بِمَعْنَى عَقْد السِّحْر لِلْإِنْسَانِ وَمَنْعُهُ مِنْ الْقِيَام قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ فَعَلَى هَذَا هُوَ قَوْل

صورة للتشكيل الشبكي(Reticular formation) وهو يقع أسفل الجمجمة في مؤخرة المخ كما نرى أو قافية الرأس كما أخبر الحديث الشريف

يَقُولُهُ يُؤَثِّر فِي تَثْبِيط النَّائِم كَتَأْثِيرِ السِّحْر، وَقِيلَ: يَحْتَمِل أَنْ يَكُون فِعْلًا يَفْعَلهُ كَفِعْلِ النَّفَّاثَات فِي الْعُقَد، وَقِيلَ: هُوَ مِنْ عَقْد الْقَلْب وَتَصْمِيمه، فَكَأَنَّهُ يُوَسْوِس فِي نَفْسه وَيُحَدِّثهُ بِأَنَّ عَلَيْك لَيْلًا طَوِيلًا فَتَأَخَّرْ عَنْ الْقِيَام، وَقِيلَ: هُوَ مَجَاز، كُنِّيَ لَهُ عَنْ تَثْبِيط الشَّيْطَان عَنْ قِيَام اللَّيْل.

قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ انْحَلَّتْ عُقْدَة، وَإِذَا تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عَنْهُ عُقْدَتَانِ، فَإِذَا صَلَّى انْحَلَّتْ الْعُقَد، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّب النَّفْس، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيث النَّفْس كَسْلَان) فِيهِ فَوَائِد مِنْهَا: الْحَثّ عَلَى ذِكْر اللَّه تَعَالَى عِنْد الِاسْتِيقَاظ، وَجَاءَتْ فِيهِ أَذْكَار مَخْصُوصَة مَشْهُورَة فِي الصَّحِيح (...).

وَمِنْهَا: التَّحْرِيض عَلَى الْوُضُوء حِينَئِذ وَعَلَى الصَّلَاة وَإِنْ قَلَّتْ.

وَقَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَإِذَا تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَتَانِ) مَعْنَاهُ: تَمَام عُقْدَتَيْنِ، أَيْ انْحَلَّتْ عُقْدَة ثَانِيَة، وَتَمَّ بِهَا عُقْدَتَانِ قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّب النَّفْس) مَعْنَاهُ: لِسُرُورِهِ بِمَا وَفَّقَهُ اللَّه الْكَرِيم لَهُ مِنْ الطَّاعَة، وَوَعَدَهُ بِهِ مِنْ ثَوَابه مَعَ مَا يُبَارِك لَهُ فِي نَفْسه، وَتَصَرُّفه فِي كُلّ أُمُوره، مَعَ مَا زَالَ عَنْهُ مِنْ عُقَد

الشَّيْطَان وَتَثْبِيطه، وَقَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيث النَّفْس كَسْلَان)، مَعْنَاهُ لِمَا عَلَيْهِ مِنْ عُقَد الشَّيْطَان وَآثَار تَثْبِيطه وَاسْتِيلَائِه مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ ذَلِكَ عَنْهُ، وَظَاهِر الْحَدِيث أَنَّ مَنْ لَمْ يَجْمَع بَيْن الْأُمُور الثَّلَاثَة وَهِيَ: الذِّكْر وَالْوُضُوء وَالصَّلَاة، فَهُوَ دَاخِل فِيمَنْ يُصْبِح خَبِيث النَّفْس كَسْلَان.

شرح ابن حجر العسقلاني للحديث

(كتاب فتح الباري):

وذكر الإمام ابن حجر العسقلاني في شرحه لهذا الحديث قريباً من شرح النووي وزاد عليه (يضرب أي بيده على العقدة تأكيدًا وإحكامًا لها قائلاً ذلك وقيل معنى يضرب يحجب الحس عن النائم حتى لا يستيقظ ومنه قوله تعالى فضربنا على آذانهم أي حجبنا وقيل معنى يضرب يحجب الحس عن النائم حتى لا يستيقظ ومنه قوله تعالى فضربنا على آذانهم أي حجبنا الحس أن يلج في اذانهم فينتبهوا.

خلاصة الكلام: قافية الرأس هي مؤخرته أو آخره وقيل أوسطه وضرب الشيطان على العقد من أجل حجب الحس عن النائم حتى لا يستيقظ ويشعره بالكسل.

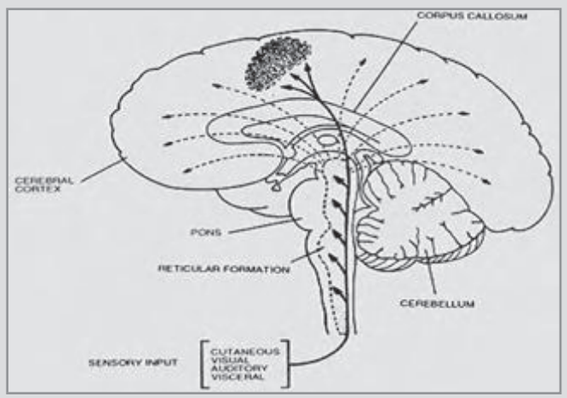

صورة تبين أجزاء جذع المخ الثلاثة – Midbrain ، Pons ، Medu la oblongata وهي التي تحتوي بداخلها على التشكيل الشبكي، وتمتد هذه الأجزاء من مؤخرة الرأس إلى أن تتحد بالحبل الشوكي Spinal cord

الإشارة العلمية في الحديث الشريف:

أثار فضولي وانا أدرس هذا الحديث تخصيص الشيطان قافية الرأس أو (مؤخرة الرأس) في عقد العقد عن سائر الرأس فبادرت باستشارة فضيلة الدكتور عبد الخالق شريبه وطلبت منه البحث في المواقع الطبية المتخصصة بالدماغ عن وظائف هذه المنطقة وهل لها علاقة بالنوم واليقظة.

وإليكم نتائج البحث:

التشكيل الشبكي:

The reticular formation

The reticular formation is a part of the brain that is involved in awaking/sleeping cycle[1]

التشكيل الشبكي هو جزء من المخ له علاقة بدورة النوم والاستيقاظ.

موقعه:

Location

The reticular formation is present in the brain stem.

It is centered roughly in the pons. It is the core of the brainstem running through the mid–brain، pons and medulla[2].

the brainstem (or brain stem) is the posterior part of the brain، adjoining and structurally continuous with the spinal cord.

It is including the medulla oblongata، pons and midbrain[3].

التشكيل الشبكي موجود في جذع المخ، وجذع المخ عبارة عن الجزء الخلفي من المخ، وهو متداخل ومتصل تركيبيًا مع الحبل الشوكي، ويتكون من ثلاثة أجزاء النخاع المستطيل والجسر (القنطرة) والمخ المتوسط .

ويتركز التشكيل الشبكي تقريبا في منطقة الجسر أو القنطرة من جذع المخ، وهو يعتبر نواة جذع المخ حيث يجري في أجزائه الثلاثة النخاع المستطيل والجسر (القنطرة) والمخ المتوسط .

وظيفته: Function

Reticular formation is a complex network of neurons and axons that is located throughout the brainstem. regulates consciousness، sleep، and

صورة جانبية لجذع المخ الذي يقع التشكيل الشبكي المسئول عن الاستيقاظ من النوم بداخله .

wakefulness.[4]

Reticular formation sends nonspecific impulses throughout the cortex to «awaken» the entire brain.[5]

If Reticular formation is stimulated in a sleeping subject، Subject awakens.

If Reticular formation is stimulated in a wake subject، subject becomes more alert . If Inhibited or damaged، Subject shows impaired alterness، and increased NREM .[6]

التشكيل الشبكي عبارة عن مجموعة من شبكة معقدة من الخلايا والمحاور العصبية المتواجدة في جذع المخ، وهو مسئول عن تنظيم الوعي، والنوم، والاستيقاظ.

حيث يقوم بإرسال إشارات عصبية إلى القشرة المخية فتقوم بإيقاظ المخ.. لذلك إذا حدثت استثارة للتشكيل الشبكي في حالة النوم، فإن ذلك يؤدي إلى الاستيقاظ، وإذا حدث له استثارة في حالة اليقظة، فإن ذلك يؤدي إلى زيادة اليقظة والانتباه، أما إذا تم تثبيطه أو حدث له تلف ما، فإن ذلك يؤدي إلى قلة اليقظة، والاستغراق في النوم.

Effects

of injury Mass lesions in the brain stem cause severe alterations in level of consciousness such as coma due to their effects on the reticular formation.[7]

وفي الحديث إشارة واضحة إلى مركز النوم واليقظة الذي يقع في قافية الرأس أو مؤخرة الرأس. فمن الذي أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المركز المسؤول عن النوم واليقظة في عصر لم يكن فيه جراحة ولا تشخيص ولا أشعة. إنه الله تعالى الذي أرسل رسوله بالحق. فصدق الله وصدق رسوله والحمد لله رب العالمين.

---

* المشرف على موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن.
وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.quran-m.com

** طبيب وكاتب مصري

References
(1) http://thebrain.mcgill.ca/flash/a/a_11/a_11_cr/a_11_cr_cyc/a_11_cr_cyc.html
(2)The Human Brain: An Introduction to its Functional Anatomy 5th ed by J Nolte chpt 11 pp. 262–290
(3)Donald medical dictionary
(4)http://www.thefreedictionary.com/reticular+formation
(5)http://www.sleephomepages.org/sleepsyllabus/e.html
(6)http://psych.fullerton.edu/mwhite/306pdf/30620%brain%20mechanisms%20and%20sleep.pdf
(7) Tindall SC (1990). «Level of consciousness». in Walker HK، Hall WD، Hurst JW. Clinical Methods: The History، Physical، and Laboratory Examinations and the Ana banana. Butterworth Publishers.

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لمرحلة الشيخوخة وأرذل العمر

الأستاذ الدكتور محمد عبد الحميد العدلاني*

ازداد الاهتمام في السنوات الأخيرة بمرحلة الشيخوخة، سواء من حيث الرعاية أو من الناحية الطبية لتأخير أعراض الشيخوخة، وقد بالغ البعض في مجال الطب حيث عكفت بعض الأبحاث لدراسة أحوال الشيخوخة لإطالة عمر الإنسان، ولكن سنة الله ماضية في كون هذه المرحلة هي المرحلة الأخيرة من عمر الإنسان التي وصفها الله بالضعف كما وصفها بأرذل العمر. كما أن الآجال مضروبة ومكتوبة في اللوح المحفوظ.

لا شك أن الشيخوخة طور من أطوار العمر تزعج الإنسان المقبل عليها وتكدر الإنسان الذي هو فيها... وعبر الشاعر العربي عن ذلك بقوله:

ذهب الشباب فما له من عودة
وأتى المشيب فأين منه المهرب

وقال شاعر آخر:

ألا ليت الشباب يعود يوماً
فأخبره بما فعل المشيب

١- اجتهاد السابقين والمعاصرين ومرحلة التنكيس والشيخوخة:

كان سبب بحث الناس عبر العصور عن شفاء للشيخوخة هو شعورهم الداخلي بالخوف من الموت ورغبتهم في البقاء أحياء... ونسمع في أساطير الأولين عن رحلة البحث عن سر الخلود وإكسير الشباب الدائم...واعتقد فريق من الناس قديماً أن نباتاً في قاع البحر إذا أكل منه المسنون عادوا إلى الشباب.. وتبين أنها نباتات بحرية لا تفيد شيئاً في ذلك..

وفي مصر القديمة كان المصري القديم لا يهاب الموت ولكنه يخاف الحساب بعد الموت... وكانوا يعتقدون أن الموت رحلة إلى حياة أخرى وإلى عالم سفلي.. وكانوا يكررون دائماً قولهم: (إن الموتى يعيشون) (إنك لم ترحل ميتاً إنك رحلت حياً)...

لا دواء ضد الشيخوخة

وربما نقل المصريون القدماء عقيدتهم هذه عن رسالة سيدنا إدريس عليه السلام الذي عاش في منف (البدرشين حالياً) قبل العصر الفرعوني... واعتنق المصريون عقيدة التوحيد ولما جاء العصر الفرعوني حرفوا اسم إدريس إلى ازوريس... وتدل أوراق البردي في الآثار المصرية القديمة على أن قدماء المصريين قاموا عبر عصورهم بمحاولات كثيرة لاسترداد الشباب... ولكنهم لم ينجحوا... وحاول الهنود القدامى ولكنهم لم يكونوا بأسعد حظا من المصريين القدماء... وكذلك فعلت الأمم السابقة في الصين وغيرها من أمم الشرق الأدنى والأقصى.

أما في أوروبا فقد اهتمت شعوبها عبر القرون بالبحث عن شفاء أو علاج للشيخوخة.. فمنذ عهد الإغريق كان اهتمام الناس بهذا الموضوع.. فما دام الأمر يخص صحة الإنسان فإنه يمثل من تفكير الإنسان المقام الأول... وتحكي لنا أساطير الإغريق العديد من المحاولات في هذا الموضوع مثل محاولة يوسانيانس وكيف اعتقد أن « ينبوعاً للشباب « موجود في مكان ما في العالم واعتقد أن أي إنسان يعاني من الشيخوخة إذا نزل في ذلك الينبوع فسوف يخرج منه شاباً فأثار فضول الناس...

وراحوا يبحثون عن ذلك الينبوع... وصار البحث عن ينبوع الشباب شغلهم الشاغل... ومرت العصور والناس لا تكف عن البحث عنه حتى العصور الوسطى.. وكان آخر المحاولات في البحث تلك الرحلة التي قام بها

بونس دي ليون سنة ١٥١٢ في المحيط الأطلسي وسار غرباً حتى وصل إلى العالم الجديد.. ولكنه لم يكتشف شيئاً.. ولكنه اكتشف ما هو أهم من ينبوع الشباب.. اكتشف قارة أمريكا الشمالية...

وظل العلماء حتى العصر الحالي يبحثون عن علاج للشيخوخة واستعادة الشباب ولكنهم لم ينجحوا ولعل آخر المحاولات كانت محاولة الدكتورة أنا أصلان من رومانيا في منتصف هذا القرن.. وصاحبتها ضجة إعلامية كبيرة إلا أنه في النهاية لم يكتب لها النجاح وأخيراً تأكد لدى العلماء أنه لا يوجد أي دواء يشفي من الشيخوخة.. فالشيخوخة هي نتيجة تغير بيولوجي حتمي في جسم الإنسان لا يوقفه شفاء – ولا يفيده علاج ولطالما أضاع الناس من جهد ومال ودراسة وراء البحث عن دواء لعلاج الشيخوخة فما وجدوا شيئاً....

العلامات الطبية للشيخوخة

٢- وصف القرآن الكريم لمرحلة الشيخوخة وأرذل العمر (مرحلة التنكيس).

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة: فاطر – الآية: ١١]

يقول الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [سورة الحج، الآية ٥].

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا [٢٣] وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا [٢٤]﴾ [سورة الاسراء] .

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [سورةآل عمران، الآية ٤٠].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [سورة مريم، ٤،٥].

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الأحقاف ، الآية ١٥].

وبالرغم من أن هذه المرحلة تتخذ في الأسلوب القرآني أسماء عديدة حسب الآيات القرآنية التي ورد فيها الحديث عن هذه المرحلة إلا أن هذه الأسماء في الحقيقة أقرب إلى الوصف منه إلى التسمية ومن هذه الأسماء:

- **الكبر** : لقوله تعالى: ﴿وأصابه الكبر﴾ (البقرة٢٦٦)
- **العجز** : لقوله تعالى: ﴿فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم﴾ (الذاريات ٢٩)
- **أرذل العمر** : لقوله تعالى : ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ (النحل ٧٠)
- **معمر** : لقوله تعالى: ﴿وما يعمر من معمر﴾
- **الشيبة** : لقوله تعالى: ﴿ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة﴾ (الروم ٥٤)
- **الضعف** : لقوله تعالى: ﴿ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة﴾ (الروم ٥٤)

لذا آثرت استخدام (الشيخوخة– التنكيس) اسمًا للمرحلة لأن القرآن ذكرها اسمًا لها في معرض تعداد أطوار خلق الإنسان، قال تعالى : ﴿ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا﴾ (غافر ٦٧) بل ذكرها في معرض تعريف المخاطبين بسن المتكلم عنه كما في قول المرأتين لموسى ﴿وأبونا شيخ كبير﴾ (القصص ٢٣)، وقول زوج إبراهيم ﴿وهذا بعلي شيخا﴾ (هود ٧٢)، وقول إخوة يوسف ﴿إن له أبا شيخا كبيرا﴾ (يوسف)

- **الشيخوخة**: مصدر من (الشيخ): والشيخ الذي استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب وجمعه: آشياخ، وشيخان، وشيوخ، وقد ورد الأخير في القرآن ﴿ثم لتكونوا شيوخا﴾ (سورة غافر ٦٧)

• وكلمة الشيخ وردت في القرآن أربع مرات سبق ذكرها في المقدمة وهي في المواضع الأربعة أتت على المعنى اللغوي حيث دلت على كبر السن. ومما ينبغي الإشارة إليه أن استخدام كلمة (الشيخ) عند التفصيل الأصح أنها خاصة بالرجل، أما المرأة فيطلق عليها عجوز كما في قوله تعالى (قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا)(هود)

قال في اللسان «العجز:الضعف، والعجوز من النساء :الشيخة وقد وردت تسمية المرأة الكبيرة بالعجوز أربع مرات في القرآن هي : الآية السابقة، وقوله: ﴿وقالت عجوز عقيم﴾(الذاريات ٢٩) وقوله: ﴿إلا عجوزا في الغابرين﴾ مرتين (الشعراء ١٧١ –الصافات

قال ابن منظور: (النكس: قلب الشيء على رأسه) والمقام يتعلق بوصف الحالة في أواخر العمر بعد بلوغ غاية الكفاءة في مرحلة الشباب، ولذا التعبير بفعل (النكس) في الآية الكريمة يعني انقلاب الحال في الخلق، وقد ورد فعل (النكس) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ الأنبياء ٦٥.

وكذلك قوله تعالى:﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾؛ قال الألوسي: (فيه تشبيه)أي تشبيه انقلاب حال من بلغ الشيخوخة بقلب الشيء على رأسه، قال ابن منظور: (فصار بدل القوة ضعفًا وبدل الشباب هَرَمًا)

وقال أبو السعود: (فلا يزال يتزايد ضعفه وتتناقص قوته وتنتقص بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود إلى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم والإدراك.

وأكد ابن كثير في موضع آخر على اشتمال النص الكريم الدلالة على تغيرات باطنة للشيخوخة بالإضافة إلى التغيرات الظاهرة؛ فقال: (تتغير الصفات الظاهرة والباطنة) ورجح الآلوسي اختلاف زم––ان ابتداء تغيرات الشيخوخة، وعبارته هي: (والحق أن زمان ابتداء الضعف وانتقاص البنية مختلف لاختلاف الأمزجة والعوارض)

٣- الأحاديث النبوية الشريفة لمرحلة الشيخوخة وأرذل العمر (مرحلة التنكيس).

روى الترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية إن أخطأته المنايا وقع في الهرم حتى يموت).

قوله صلى الله عليه وسلم: وقع في الهرم حتى يموت يشير إلى أن الذي يقع في الشيخوخة لا يشفيه دواء ولا ينفعه علاج وفي هذا الحديث النبوي الشريف الكثير من الحقائق العلمية

• ولو تدبر الناس ما جاء في الحديث النبوي في هذا الموضوع ما أضاعوا كل هذا الجهد وما خسروا كل تلك الأموال في البحث والعناء فيما لا طائل من ورائه... فقد أخرج أبو داود والترمذي عن زياد بن علاقة، عن أسامة بن شريك قال: قالت الأعراب: يا رسول الله! أنتداوى؟ قال: نعم عباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء إلا داءً واحداً قالوا: وما هو قال: الهرم. (أي: الشيخوخة لا دواء لها).

وروى مسلم عن السيدة عائشة رضي الله عنها: أن الأعراب سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة فنظر إلى أحدث إنسان فيهم وقال (إن يعش هذا لا يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم) وإذا عاش إنسان ولم يدركه الهرم فإن هذ يدل على أنه يعيش في اللازمن.. ولا يكون ذلك في عالمنا هذا وإنما في العالم الآخر حيث تقوم الساعة... ونفهم من الحديث النبوي الشريف أيضاً: أن كل إنسان طال به العمر لا بد أن يدركه الهرم لأن الزمن يجري في الإنسان والإنسان يجري في الزمن لا يتوقف أبداً في هذه الدنيا... ولا يتوقف الزمن إلا في الحياة الأخرى... لذلك فإن فيها الخلود ولا يهرم الناس فيها أبداً...

فذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة: (إن لكم أن تصحو فلا تسقموا أبداً.. وأن لكم أن تشبوا لا تهرموا أبداً).

٤- الاعجاز العلمى والنظرة الطبية الحديثة لمرحلة الشيخوخة وأرذل العمر (مرحلة التنكيس).

قسم العلماء مراحل عمر الانسان الى ثلاثة مراحل:

أ- مرحلة الضعف الأولى: وتشمل الجنين والطفولة.

ب- مرحلة القوة: وتشمل الأشد.

ج- مرحلة الضعف والشيبة: وتشمل الشيخوخة وأرذل العمر (مرحلة التنكيس).

وعلى هذا يتفق الكثيرون على تعريف الشيخوخة بأنها مرحلة العمر التي تبدأ فيها الوظائف الجسدية والعقلية في التدهور بصورة أكثر وضوحاً مما كانت عليه في الفترات السابقة من العمر.

في قوله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (يس ٦٨)؛ يتضمن التعبير الإخبار بأسلوب معجز بليغ عن حالة عامة من التدهور والارتداد تتسع لتشمل كافة التغيرات الخفية

للشيخوخة التي لم يعرف أحد عنها شيئًا عند التنزيل وكشفتها الدراسات العلمية حديثًا، والنص الكريم ورد ضمن منظومة من النصوص تعالج موضوع مراحل العمر عامة أو الشيخوخة خاصة في تكامل وائتلاف بلا اختلاف.

إن الذين تخطوا سني عمرهم الخمسين أو فوق، يشعرون أن كل شيء فيهم يتغير ويهبط، ويتمرد على ذلك النظام الذي كان يسري في أجسامهم قبل ذلك، وكأن بصمات السنين قد تركت آثارها على ظاهرهم وباطنهم، فبشرة الجلد الغضة اللينة أصبحت متجعدة ومتهدلة، وتحولت سوداء الشعر إلى بيضاء، وبرزت عروق الأطراف، وضعف البصر وزاغ، وانخفضت كفاءة السمع، ونقصت معدلات الإستقلاب العامة.

ولقد اختلفت الآراء كذلك في الوقت الذي تبدأ فيه الشيخوخة، وأوضحت دراسات عدة أن التقدم في السن، وبالتالي ظهور أعراض الشيخوخة سواء صحيا أو نفسيا أو عقليا قد يبدأ في أي مرحلة من مراحل العمر ... فالقدرات عامة تبدأ في التغير ابتداء من سن العشرين، ومن جهة أخرى فمن المعروف أن سن الشخص قد لا يكون بالضرورة متفقاً واحتفاظه بوظائفه البدنية.

وهكذا يدخل الجسم في مرحلة الضعف ببطء بعد أن ترك تلك المرحلة حيث كان طفلاً، ثم دخل في مرحلة القوة والشباب، حتى أن زاوية الفك السفلي تكون منفرجة عند الأطفال، ثم تصبح قائمة أو حادة عند الشباب، ثم تعود لتصبح منفرجة عند الكهولة كما كانت وقت الطفولة، وصدق الله إذ يقول (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً و شيبة).

و شيء آخر، هو أن خلايا الجسم تكون في حالة تجدد مستمر، عن طريق عمليات الهدم والبناء فتتغلب عمليات البناء أو التعمير في النصف الأول من حياة الإنسان ثم تتوازى عمليات البناء مع عمليات الهدم، و في النصف الأخير من الحياة تتغلب عمليات الهدم أو التنكس على عمليات التعمير وهذا ما يفسر لنا سرعة التئام الكسور والجروح عند الصغار، وبطئها عند المسنين، وهكذا تتضح لنا روعة هذه الآية القرآنية – ﴿*ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون*﴾ سورة يس: ٦٨ . وهي تبين لنا حقيقة علمية ثابتة. و سنة حيوية تقوم عليها كل عمليات الكائنات الحية على الإطلاق .

تبدأ العظام بالضمور من سن الخامسة والثلاثين

أما بالنسبة للخلايا العصبية والعضلية فإنها لا تتجدد، وكل خلية تموت يفقدها الجسم ويشغل النسيج الليفي مكانها.

وإذا غصنا مع المجهر الإلكتروني إلى داخل الخلايا الهرمة، فإنه سيرينا ترسبات أطلق عليها بعض العلماء اسم أصباغ الشيخوخة، وهي موادٍ كيميائية غربية تتجمع في خلايا المخ والعضلات وتكسبها لوناً خاصاً، وهي عبارة عن بروتينات وأشباه بروتينات ودهون متأكسدة هذه المواد تتشابك أحياناً لتشكل شبكة على مر الأيام وكأنها خيوط العنكبوت التي تكبل الخلية وتسير بها إلى النهاية التي لا مفر منها، ألا وهي الموت.

يوجد في جسم الإنسان ٧٥ ترليون (ألف مليار) خلية ويقوم الجسم يومياً بتوليد المليارات من الخلايا . إن التدخين والكحول والإشعاعات الشمسية وتلوث الجو ببنزين السيارات وتلوث الطعام بالمواد الكيميائية والأسمدة ومبيدات الحشرات يؤدي إلى خلل في انقسام الخلايا (طفرات جينية) مع تقدم العمر يحدث ضعف بهذا الجهاز مما يسمح بحدوث هذه السرطانات (ما يقارب ٤٠٪ من الوفيات) تحدث بسبب أمراض القلب والشرايين و ٢٥٪ بسبب السرطانات و١٥٪ بسبب الحوادث والالتهابات و١٠٪ أمراض وراثية

و لقد وجد العلماء أن معدل هذا التدهور يتراوح بين (٠،٥ ، – ١،٣) ٪ في كل عام.

و كمثال، فإن القلب يقوم في الدقيقة الواحدة (٧٠ – ٨٠) عملية انقباض و استرخاء، وفي اليوم أكثر من مائة ألف انقباض، و في العام أكثر من (٣٦) مليون انقباض واسترخاء، فلنتصور ذلك العبء الذي يقوم به على مر السنين، إن كفاءته ستنخفض حتماً وبالتالي سينخفض معدل ورود الدم إلى الأنسجة الأخرى، والكلية التي تفرز مادة الرينين لتزيد ضغط الدم في محاولة منها لرفع معدل ورود الدم إليها وهكذا يدخل الجسم في حلقة مغلقة تؤدي لإصابة الإنسان بارتفاع الضغط عندما يتقدم في السن. إن هبوط كفاءة أي عضو هو انعكاس لهبوط كفاءة الوحدات التي تكونه، والوحدات الحيوية الوظيفية في أي عضو هي الخلايا.

فماذا وجد العلماء وهم يبحثون عن أسباب الشيخوخة على مستوى الخلية ؟.

الواقع أن ملخص ما وصلوا إليه أن الخلايا لا تستطيع أن

تتخلص تماماً من جميع النفايات وجميع بقايا التفاعلات التي تجري بداخلها، فتتجمع تلك النفايات على شكل جزيئات، قد تكون نشيطة أحياناً فتتحد بوحدات الخلية الحيوية كمصانع الخلية (الشبكة السيتوبلاسمية) ... ويؤدي هذا الاتحاد إلى نقص فعالية هذه الوحدات وبالتالي فعالية الخلية ككل، وتسير هذه العملية ببطء شديد، فلا تظهر آثارها إلا على مدى سنوات طويلة ...

التغيرات الجسمية: في هذه المرحلة تحدث العديد من التغيرات الجسمية أبرزها في

الحواس : البصر : قد يبدأ البعض باستخدام النظارات لأول مرة، فلا يستطيعون قراءة الخط الصغير والقريب، وقد يحتاجون إلى إضافة ٣٣٪ من الضوء الذي اعتادوا عليه لتعويض نقص الضوء الذي يصل إلى الشبكية بسبب عدة عوامل منها فقدان القرنية لشفافيتها تدريجياً وفقدان المرونة في الحدقة فلا تتسع كما كانت سابقاً، ويعاني البعض من (الماء الأبيض) كما أن حساسية العين للألوان تتأثر بسبب اصفرار العدسة ويحدث التدهور أيضاً في خلايا الشبكية .. ويقول الخبراء: مع بلوغ سن الستين تكون أعيننا قد تعرضت لكمية من الطاقة الضوئية تفوق ما ينتج عنه تفجير نووي .. ! [ويجر ضعف البصر ضعفاً في بقية الحواس، كالسمع والشم والذوق وحتى اللمس؛ فتتقهقر حدة الحواس جميعها تقريبًا].

الشيب: وهو تحول لون الشعر عن لونه الطبيعي إلى البياض. ويعد الشيب أكثر العلامات استخدامًا للدلالة على دخول الإنسان العمر الثالث وهو الشيخوخة ولذلك اقترن ذكره مع الانحدار للضعف في وصف مراحل العمر عندما قال تعالى: ﴿*ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة*﴾ (سورة الروم ٥٤). والتفسير العلمي للشيب هو غياب الحبيبات الصبغية التي تعطي الشعر مظهره الأسود ولكنها مع السن تختفي المادة السوداء أو الملونة بها. ﴿*وهن العظم مني وأشتعل الرأس شيبا*﴾.

الهيكل العظمي فى الجسم له عدة وظائف هامة منها يعمل كهيكل تتصل به العضلات والأربطة والأوتار مما يساعد على الحركة والانتقال من مكان لآخر ثبت طبيًا أن عظام الإنسان تبلغ الذروة في سن الخامسة والثلاثين ثم تأخذ في الضمور والتناقص بمعدل ثابت هو ٢٪ سنويًا للرجال أما المرأة فإن معدل فقد العظام يصل إلى ١ ٪ سنويًا خصوصًا بعد انقطاع الطمث.

ويسخر الله من الذين يبحثون عن مهرب من الموت أو عن منجى منه بالتخلف عن نصرة الله، والفرار يوم الزحف بقوله : ﴿*أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة*﴾ [النساء : ٧٨] ﴿*الذين قالوا لإخوانهم و قعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين*﴾ [آل عمران: ١٦٨].

قد أشار القرآن الكريم إلى حتمية الموت في مواضيع عدة منها قوله تعالى: ﴿*كل نفس ذائقة الموت و إنما توفون أجوركم يوم القيامة*﴾ آل عمران: ١٨٥.

ويقول مخاطباً الرسول عليه الصلاة و السلام في سورة الأنبياء: ﴿*وما جعلنا من قبلك الخلد أفإين متَّ فهم الخالدون . كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون*﴾ [الأنبياء : ٣٤].

﴿*يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ*﴾[٣٣] ﴿*إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ*﴾[٣٤] سورة لقمان ﴿*قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ*﴾ / الجمعة(٨)].

---

* أستاذ الامراض الباطنية– كلية الطب في جامعة المنصورة جمهورية مصر العربية. وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.quran-m.com

المراجع:
القرآن الكريم.
لسان العرب ج٦ ص٢٤٣
ابن كثير ج٢ص ٥٧٧
أحكام القرآن ج٥ ص٢١٩
لسان العرب ج٣ص٢٣٦
الدر المنثور ج٦ص٣٩٧
• الشيخوخة.. تنكيس في الخلق د. محمد دودح
• الشيخوخة بين القرآن والسنة والعلم الحديث /الجزءالسادس
• النشاة الى التنكيس اد مجاهد ابو المجد مرحلة الاشد اد محمدعبدالحميد العدلاني.
• مؤيد الانصاري قبل أن أرد إلى أرذل العمر !!! ٢٧-٢-٢٠٠٩
• Encyclopedia Britannica, 2001.Encarta, 2001.Scientific American presentsJune, 2000.Compton's Encyclopedia, 1998

اليأس خدعة من الشيطان

د. هارون يحيى*

الذي لا ينجح في ما يقوم به، والذي يفقد شيئًا قيمًا، والذي يفشل في امتحان والذي يخشى الحصول على نتائج سلبية، إذا كان هذا الشخص يرى هذه المخاوف من منظور واحد، فإنه قد سلم نفسه عمومًا لاستياء كبير بسبب هذه النتائج غير المتوقعة .في مثل هذه الحالات، فإن الإنسان المؤمن يتبنى موقفًا مختلفًا تمامًا، فهو يعلم أن كل ما يحدث له هو من عند الله تعالى، وبذلك يظهر رد فعل حكيم عند مواجهتها. كما يبينه الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿*وَنَبلوكم بالشَّر والخير*﴾ (سورة الأنبياء، ٣٥) لذلك فالمؤمن عندما يصادف صعوبات أو مشقات في حياته فإنه لا يستسلم لليأس بأي حال من الأحوال.

الذي يشجع الناس على اليأس هو الشيطان

الشيطان يحاول دائمًا أن يشعر الإنسان بقلة الثقة في نفسه واليأس عند التفكير في مستقبله المجهول فيجعله متشائمًا في تفكيره. فالشيطان يعمل لكي لا يؤمن الناس بالله ولا يطيعوه. فلا يريد الشيطان من الناس أن يؤمنوا ولا أن يثقوا بالله لتكون حياتهم تعيسة وبدون حماس، على عكس ما يحبه الله تعالى من عباده ، فانه تبارك وتعالى يدعوا للخير والإيمان بمشيئته وبقدره كما جاء في كتابه الكريم. فالشيطان لا يريد أن يتقرب الناس إلى الله أو أن يعيشوا بالأخلاق الحميدة والقيم الفاضلة للقرآن. وعند وقوع حادث، فإن الشيطان يوسوس للإنسان محاولاً تحطيم معنوياته ليجعله من اليائسين المحبطين لينجر عن ذلك للعجز وللتعب، حتى أنه في بعض المجتمعات أصبح اليأس نمط حياة. فالناس الذين وضعهم الشيطان تحت نفوذه، يكونون مولعين بالأغاني الحزينة والأفلام التي تكون ذات طابع تشاؤمي وكل ما يعبر عن اليأس والإحباط، فتراهم يتذوقون ذلك ويتحسسونه مما يؤثر سلبًا في معنوياتهم وأفكارهم وبالتالي في حياتهم ويضر بتوازن عقولهم ومنطق أحكامهم فلا يمكنهم اتخاذ قرارات سليمة طول حياتهم إذ اليأس شعارهم.

الرضى بقضاء الله يقطع طريق الشيطان

من ناحية أخرى، فإن الناس اليائسين ينشرون اليأس بين الناس الذين من حولهم، فينتج عن ذلك مناخ سلبي ومتشائم. وفي هذه الحالة يصبحون في خدمة الشيطان وذلك بوعي أو بغير وعي، لأنه من خلال الناس المتشائمين يريد الشيطان خلق حالة سلبية للعقول وهذه خدعة من خدع الشيطان كما توضح الآية في قوله تعالى: ﴿*إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ*﴾ (سورة الانعام، ١٢١)

أما المؤمنون فإنهم لا يتأثرون بعمل الشيطان، المؤمنون دائما متفائلون بإذن الله ويبقون بعيدين عن الحياة المتشائمة وبذلك يفوزون برضا الله وثوابه في الدنيا والآخرة، فيعيشون في بركة الله فتصبح حياتهم سعيدة.

إذا سعى المؤمن للتمسك بأخلاق القرآن، تجده قريبًا من الله، شاكرًا في السراء وصابرًا في الضراء قاهرًا للشيطان فلا يستطيع التأثيرفيه بأي شكل من الأشكال.

الرضا بقدر الله هو الحل للتخلص من اليأس

خلق الله تبارك وتعالى كل شيء في الكون بمشيئته. فكل شيء كائن أو سيكون، قد خلقه الله منذ الأزل بقدر، سبحانه له ملك السموات والأرض وهو على كل شيء قدير.

ومن المستحيل أن يغير قدره في أي حال من الأحوال. ومنه فإن المؤمن الذي يدرك هذا، يعرف أن كل ما يحدث من حوله هو جزء من مصيره المكتوب في اللوح المحفوظ عند الله، كما قال الطحاوي رحمه الله: [فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى أنه كائن، ليجعلوه غير كائن، لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه غير كائن، ليجعلوه كائنا، لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة] فعلى سبيل المثال، يمكن أن يفقد الإنسان جميع ممتلكاته أو شخصًا عزيزًا على قلبه،

إلا أنه بعد وقوع الحادث والخسارة المادية أو المعنوية، يجب على المؤمن أن لا يفقد في كل حال من الأحوال الأمل والإيمان طوال حياته، فالكل معرض في حياته إلى عراقيل ومشاكل يمكن أن تؤثر سلبًا عليه، ومن المعروف أنه لا يمكن لأي شخص معرفة ما سيحدث في المستقبل . الحقيقة الوحيدة هي أن كل ما يعيشه الإنسان مكتوب بقدر عند الله منذ الأزل. فكل شخص سيعيش حتمًا كل ما كتبه الله له فهذا هو قدره بكل تأكيد.

يمكننا تفسير ذلك من خلال تقديم مثال من الحياة اليومية : نحاول تصور المشهد في أذهاننا : تصادم سيارتين. كل من هذين الشخصين يسيران بسرعة للالتحاق إما بعائلاتهم أو الذهاب إلى مقر عملهم. كل واحد منهم يأخذ سيارته في وقت محدد ويسير في الطريق.

من الممكن قبل الدخول إلى المكان الذي سيقع فيه الحادث، يتردد كل واحد منهما لكن في الأخير يسيران في الطريق التي سيقع فيها الحادث. فمن الممكن أن أحد أو كلا السائقين طوال حياتهم يقودان سيارتهما، ولكن مجرد لحظة واحدة من فقد الانتباه على الطريق لتعديل جهاز الراديو الخاص به مثلا، فيصبح بذلك كل شيء محددا من أجل التخطيط لوقوع هذا الحادث. كل التفاصيل تقود الشخصين إلى وقوع الحادث والأمثلة عديدة ومختلفة في هذا الباب. ولكن السبب الرئيسي هو أن هذا الحدث مقدر لهذين الشخصين حتى قبل أن يولدوا. وبالتالي يجب تقبل القضاء والبحث عن الجانب الايجابي لهذه التجارب والأهم عدم الوقوع في اليأس الذي يحاول الشيطان زرعه في الإنسان، فيكون شكر الله في مثل هذه الحالات هو الخيار الأفضل والأجمل كما تدعونا إلى ذلك أخلاق القرآن : مصداقا لقوله تبارك وتعالى : ﴿*قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون*﴾. (في سورة التوبة، ٥١)

* ما هو مهم في الحدث الذي يبدو لنا سلبيا هو أن نرى فيه الجانب الإيجابي، والفوائد التي تنبثق من هذا الحدث .

* والذي يسعى لقراءة هذه الأحداث من زاوية ايجابية لرؤية الفضل من وراءها، سوف يجد أن هذه الأحداث قد تم خلقها بطريقة مثالية وبدون تقصير، وسيزيد من اهتداءه ومن إيمانه.

* من يتخذ الله وكيلا، يكون مؤمنًا بقدره، سوف يدرك على أي حال الرضا . ولذلك، فإنه سيعيش بإذن الله حياة طيبة تعمها السعادة ويزينها الصفاء والإيمان .

اليأس ينشر حوله مناخا سلبيًا

المؤمنون متفائلون ومتلذذون بحلاوة الإيمان

المؤمن الذي يقرأ هذه الآية من القرآن إيمانا واحتسابا ﴿*. . . ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون*﴾. (سورة يوسف، ٨٧) تجده لا يعرف معنى اليأس. فالله يخبرنا أن الإحباط واليأس ليستا من صفات المؤمن، ولكنها صفات الكافرين الضالين عن هدى الله في الدنيا والآخرة: ﴿*و يتجنبها الأشقى*﴾ (سورة الأعلى، ١١) ﴿*. . . وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون*﴾ (سورة البقرة، ٢١٦)

وكما قال الله تعالى في هذه الآيات الأخيرة، المؤمن الصادق في إيمانه لا يعرف اليأس، فعند الضراء، لا يسلم نفسه للسخط والاحباط بسبب الهموم، بل من الحكمة والإيمان بالله أن يرى منافع ما يكرهه، كالثواب على الصبر وغفران الذنوب. والذي يعمل على تحليل الأحداث بصفة ايجابية، سوف يفهم أن الأحداث تم إنشاؤها بطريقة مثالية وبدون تقصير وسيلاحظ أن إيمانه سيزيد. والمؤمن الذي يهب حياته فقط لإرضاء الله ويخصصها للفوز بالجنة يحاول التصرف والتفكير من خلال هذه الأخلاق القرآنية، لأنه عندما ينال القوة والاستعانة والدعم من الله، يدرك أن كل حدث سيؤدي إلى منفعة. ولذلك، فإن المؤمن الذي يثق في الله فإنه سوف يعيش بإذن الله حياة طيبة تعمها السعادة ويزينها الصفاء والإيمان .

يقول الله عز وجل في هذه الآية حيث يخبرنا عن حكمته في الخلق: ﴿*قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين*﴾. (سورة الحجر٥٥)

الله يختبر الناس بمصاعب تتناسب مع طاقاتهمO

﴿*لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ*﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦]

أظهر الله في القرآن الكريم أنه

النظرة بايجابية من ثمرات الايمان

المؤمن يستمد القوة والعزيمة من الله

سيمتحن كل مسلم بأشكال متعددة طوال حياته. لكن من أهم الأسرار في هذا الموضوع والذي يحتاج كل مؤمن لمعرفته هو: أنك إن واجهتك مصيبة، أو عقبة صعب عليك تجاوزها، فإن الله قد أعطاك القوة لتتجاوز المصائب وتنجح في الامتحان. ولنعلم بدايةً أن هذا القانون من سنن الله في خلقه، والإيمان بهذا القانون من أهم ما يتزود به المؤمن ليتجاوز هذا الامتحان.

عندما تواجهك مصيبة ما وتعتقد أنك أضعف من أن تتغلب عليها، أو أنك لن تتغلّب عليها بوسائلك ومعرفتك الخاصة، عندها ستفتقر إلى القوة التي تواجه بها مصابك. على أي حال، فمن المستحيل أن تجد مثل طريقة التفكير هذه عند أي مؤمن حقيقي، يؤمن بالله ويخشاه، ويؤمن بالدار الآخرة، ويعلم أن كل شيء خُلق وقُدِّر له قدره، والذي يبادر في فعل الخيرات.

ولكن يمكن أن ترى مثل هذا النوع من المنطق الكاذب عند الذين يتصرفون وفقاً لما يراه الجهال. عندما يواجه مثل هؤلاء الناس المصائب والاضطرابات، سيكون عليهم أن يبذلوا كل ما أمكنهم للتغلب عليها، وعلى الفور يقعون فريسة الضعف. أول كلماتهم تعبر الاستسلام واليأس، كلمات تشكو من الوضع الذي يجدون أنفسهم فيه. وكذلك معتقداتهم تشبه كلامهم، فهم من خلال هذا الكلام اليائس الذي يقنعون أنفسهم به، يشكلون سلوكهم ويجعلون أنفسهم عاجزين تماماً.

ومن أكبر الأخطاء التي يرتكبها الناس الذين يتصرفون بهذه الطريقة، أنهم يفشلون في تقدير الله حق قدره بل قد ينسونه. فيقضون حياتهم وهم يتخيلون أنهم قادرون على فعل كل شيء بأنفسهم. والحقيقة أن أسوأ المصاعب وأشد الأحوال هي أمور يمكن حلها بلحظة إذا أراد الله ذلك.

الله جبار وقادر أن يفعل ما يريد في لحظة إرادته، وأكبر وأعظم مما يمكن أن يتخيله البشر. وإن أخطر الأوضاع، والمصائب التي تكون كالجبال يمكن أن يسويها ويزيلها بكل سهولة ويسر. إذا أراد الله ذلك، وهذا أمر مهم عند من يدرك ذلك ويقضي حياته على هذا الإيمان.

مَن يكرّس كل لحظة من حياته لله ويعيش في خضوع له، سيُظهر الانقياد نفسَه والثقة بالله وسيكون في أمان عندما تتحداه المصائب. ومهما بلغت المشكلة أو المصيبة فهو قادر على المواجه، لأن المؤمن يعلم من البداية أن مَن لديه الإيمان من السهل عليه أن ينتصر. فيثق بالله ويعلم أنه يستمد قوته من الله، ويتحدى المصائب بإيمانه وبالقيم الأخلاقية التي استمدها من القرآن الكريم.

الحقيقة الثانية في هذا الموضوع أن المؤمنين يستمدون القوة من الله، فالله سبحانه يُذلل الصعوبات للمؤمن الحق. وهذا القانون الثابت مما أخبر به الله في القرآن الكريم: ﴿*إن مع العسر يسرا*﴾ والسر الآخر الذي أخبر به لله في القرآن الكريم أنه بينما تُذلّل المصاعب وتفتح أبواب الخير وتُيسّر طرقه للمؤمنين الملتزمين بهذه القيم الأخلاقية، فإن الآخرين الذين يظنون أنهم يستغنون بأنفسهم ويرفضون قيم الإسلام وأخلاقه فإن الله يمدّ لهم في غيّهم ويستدرجهم من حيث لا يعلمون بتسهيل وتيسير أبواب الحرام لهم ليواجهوا غضب الله:

﴿*إن مع العسر يسرا * إن مع العسر يسراً * فإذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب*﴾ [سورة الإنشراح:٥-٦]

﴿*ونيسرك لليسرى*﴾ [سورة الأعلى:٨]

﴿*إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى*﴾ [سورة الليل:٥-٧]

﴿*أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى*﴾ [سورة الليل:٨-١٠]

بيّن الله القيم الأخلاقية التي تضفي سهولة على هذه الدنيا والآخرة، وبين ويسّر كل ما هو صحيح، وهدانا إلى أسباب السعادة والبركة في حياتنا. وكشف عن أسباب بقاء بعض الناس أسرى للمصاعب والمتاعب، وضعفاء، ومستائين وحائرين. أما الذين تفيض قلوبهم بالإيمان بالله وبحبه وإجلاله وتقديسه وبالخوف منه سبحانه فهم يجدون دائماً لكل مشكلة صعبة حلّ ولكل مشقةٍ تيسير.

بالله نتجاوز المصائب

يجب أن يعيش المؤمن دون أن ينسى هذا السر المهم، ويعرف أنه سوف يستمد قوته من الله في مواجهة كل الصعوبات، وبأن جميع الابواب ستفتح له عندما يُقبل على الله، فالإقبال على الله هو الحل الوحيد الذي يوفر السلام والراحة والسعادة والبركة في الدنيا.

---

* وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.harunyahya.com

الرحمن علّم القرآن

١٥- إعجاز القرآن في أخبار السماء

أ. باسم وحيد الدين علي وع. محمد فرشوخ

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نستعرض اليوم بعض أخبار السماء والتي أتى بها القرآن الكريم ولم تكن الأمم تعرفها من قبل أو اندثرت أخبارها أو حرّفها الأقدمون. ولا يمكن تمييز ذلك إلا بمراجعة الكتب التي كانت متداولة قبل نزول القرآن على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، لنجد خلوها من المعلومات التي تفرد بها القرآن الكريم. ويجدر بالذكر أن الرسل قد أتوا بمثل ذلك أو بعضه، وكلهم مؤتمنون على الرسالة ذاتها، لكن سمة الإنسان هي النسيان، فما أن يمضي الرسول إلى جوار ربه حتى يقدم الناس على حذف ما لا يناسبهم والمبالغة فيما ينفعهم. فكان القرار الإلهي في نهاية الأمر بنزول القرآن وحفظه من التحريف لقوله تعالى في سورة الحجر: ﴿إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

وأخبار السماء التي أتى بها القرآن الكريم المعجز، تبدو لأول وهلة أنها معروفة، لكنها لم تكن كذلك قبل نزول القرآن الكريم.

من هذه الأخبار خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وهنا صحح القرآن الكريم ما لا يليق بالله تعالى أنه استراح في اليوم السابع. فرد القرآن الكريم على مقولة الاستراحة بعد الخلق، بأن الله تعالى القوي القادر على خلق هذا الكون العظيم، تعالى عن أن يمسه تعب أو إرهاق، فالتعب والإرهاق من صفات المخلوقات، إذ أن المخلوق هو المحدود القدرة، فأظهر القرآن الكريم أولاً عظمة الخلق، ثم نبّه، إلى أنه من السهل على الله أن يعيدَ خلقَه مرات ومرات. قال تعالى في سورة الروم: ﴿*وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ*[٢٧]﴾. ومع أن خلقَ السماوات والأرض شيء خطير، لقوله تعالى في سورة غافر: ﴿*لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ* [٥٧]﴾.

فإن المولى تعالى يردّ على من قَصُر فهمه عن معرفة عظمة الله، وضاق إدراكه عن التمييز بين قدرة الله المطلقة، وبين طاقة الناس المحدودة، فقال في سورة فاطر: ﴿*إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا [٤١]*﴾.

ثم نفى عن ذاته العليّة صفة التعب، والحاجة إلى الراحة، فقال في سورة ق: ﴿*وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ* [٣٨]﴾. وقال في سورة الأحقاف: ﴿*أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [٣٣]*﴾.

وبالمناسبة، فقد أوضح الخالق العظيم في القرآن الكريم، معنى أيام الخلق الستة، لمن اعتقد من السالفين أن الخلق قد تم في ستة أيام من أيامنا هذه، فعرّف اليوم في السماء في سورة الحج بقوله تعالى: ﴿*وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ*

[٤٧]﴾. وعرّف يوماً آخر من أيام السماء في سورة المعارج بقوله تعالى: ﴿*تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ [٤]*﴾.

ويفهم من ذلك أن يوماً قد يعني مرحلةً تمتد دهوراً بمقاييسنا، وقد لا تعدو عند الله تعالى أكثر من مقدار [كن فيكون].

ومن نبأ السماء أيضاً لحظةُ خلق ابن آدم وما رافقها وتلاها من أمور، تفرد بها القرآن الكريم وحده، ولم يكن بمقدور أحد من قبل ومن بعد أن يعرف نبأها، لولا أن الله تعالى شرفنا بذكرها في كتابه الفريد العظيم، فالجن من نار وآدم من تراب، وشرّف آدم بأن خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء كلها، مما تعرفه الملائكة ومما لا تعلمه، كي يعرف الإنسان قدر هذا الشرف العظيم الذي أعطي له، ويرد على فضل الله تعالى بالاعتراف والإيقان والخضوع والامتثال، فقال في سورة الحجر:

﴿*وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ* [٢٦] *وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ* [٢٧] *وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ* [٢٨] *فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ* [٢٩]﴾.

ولأن القرآنَ الكريمَ كتابُ حق وكتاب صدق، لم يُخْفِ الله تعالى فيه شيئاً عن عباده، حتى قلةَ أدب إبليس مع الله عز وجل، ذكرها ربنا في القرآن، ولم ير فيها انتقاصاً من هيبته ولا من جلاله عند الناس. ولو كتب أحدنا مذكراته، لأخفى بعضاً مما يخجل من عرضه على الناس، لكن الله تعالى وهو الحق، وهو أصدق القائلين، كشف بالتفصيل عن ذلك الموقف الذي خرج فيه إبليس من رحمة الله، بسبب غيرته وحسده ونفسه الأمارة، فأصبح من أول لحظة خُلِق فيها آدم، عدواً له ولذريته من بعده. فقال تعالى في سورة ص: ﴿*فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ* [٧٣] *إِلا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ* [٧٤] *قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ* [٧٥] *قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ* [٧٦] *قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ* [٧٧] *وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ* [٧٨] *قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ* [٧٩] *قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ* [٨٠] *إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ* [٨١] *قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* [٨٢] *إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ* [٨٣]﴾.

وقد ذكر الله تعالى ذلك، رحمةً بنا لينقذنا، وينبهنا، إلى خطر إبليس وأعوانه، ولكي نأخذ حذرنا من شرك الشيطان وحبائله، قال تعالى في سورة فاطر: ﴿*إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ* [٦]﴾.

وما إخبارُنا عن هذه المواجهة إلا لتعليمنا وتحذيرنا من خطر الإصغاء إليه واتباع سبيله.

ويفاجأ الباحث حين يراجع الكتبَ السالفة، فلا يجد فيها ذكراً لمواقف الشيطان وأساليبه، حتى أن خبر إغوائه لآدم وحواء في الجنة ورد في التوراة بأن الحيّة هي التي أغوتهما، ولم يُذكر إبليس باسمه وبحقيقته، وقلما نقرأ في غير القرآن عن الشيطان ووسائله، ومغرياته وحبائله.

وفي الخلاصة نتساءل، ما هو المقصود من إيراد أخبار السماء في القرآن الكريم؟ أهو التعرفُ إلى خالق هذا الكون؟ أم توسيعُ مدارك العبد حتى ينصرف إلى الأهم والأدوم والأجدى؟ أم تحصينُ الانسان بالمعرفة لكي لا يغتر ولا يُغرَّر به، فلا يتوجه إلا لربه وخالقه ؟ أم لهذه الغايات وغيرها مجتمعة؟

فنجد أن الله تعالى يحب خلقه، ولا يرضى لعباده الكفر، ولم يترك وسيلة للإقناع إلا اعتمدها في القرآن الكريم، ولم يترك أمة إلا خلا فيها نذير، وادخر القرآن والنبيَّ محمداً عليه الصلاة والسلام للزمن الأخير من عمر الدنيا، وسلحهما بالأدلة والبراهين، العلمية والروحية، فإذا بأصحاب العقول يذعنون وبأصحاب القلوب يؤمنون.

ومما سلف، تظهر لنا وجوه إعجاز القرآن الكريم في خبر السماء، وما مضى من أنباء، والتي لا يعلمها إلا الله، ولم يحفظها سوى الله. ولولا ما ورد في القرآن الكريم منها، لقال من قال، ما شاء أن يقول، بلا رقيب ولا ضابط ولا حسيب، وها هي المكتشفات العلمية تؤكد للمتشككين، صحة ما ورد في القرآن الكريم ودقته.

الإعجاز التشريعي في الإسلام

الجزء الأوّل: مزايا وخصائص الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم

بقلم الدكتور محمد عبد الرحمن المرعشلي[١]

في الوقت الذي يشعر الناس فيه بالقلق وبخلل واضطراب في القانون الدولي المعاصر، مع انتشار ظاهرة الفوضى والإرهاب والعنف وحبّ السيطرة في العالم وشيوع الظلم والفساد، وغلبة القوة والأهواء والشهوات، وفساد الأخلاق، يأتي هذا البحث للإشارة إلى المنابع المثالية للتشريع المعجز وهو القرآن، ليبرز ما قدمته النصوص من تشريعات وأحكام وقوانين تحقق السعادة للإنسان لا يستطيع وضعها الفكر البشري على وجه التحدي، إذ أثبتت النظم الوضعية القديمة والحديثة عبر تاريخ البشرية الطويل فشلها في تأمين الاستقرار ومصلحة الإنسان وسعادته، كما فشلت في جلب مصالحه ومنافعه، ودفع مفاسده وشروره بما يحقق سعادته في وقت اعترف فيه العالم وحتى خصوم هذا الدين من غير المسلمين بالإعجاز التشريعي الإسلامي المتمثل بمصدرية القرآن، وذلك *أولاً من خلال الاعتراف العلمي العالمي* بأن هذا التشريع يستحق أن يُدرس دراسة علمية على أعلى المستويات مع علمهم أنه لم يأت به إلا رجل أميّ، في بلدٍ أميّ وأمة أمية! *وثانياً: الاعتراف التشريعي العالمي* من خلال المؤتمرات القانونية العالمية مثل مؤتمر لاهاي في القانون المقارن عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م الذي اعتبر الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر التشريع، ومؤتمر جمعية المحامين الدولية في لاهاي عام ١٩٤٨م، ومؤتمر كلية الحقوق في باريس عام ١٩٥١م باسم «أسبوع الفقه الإسلامي»، *وثالثاً: عدم احتياج التشريع الإسلامي للتعديل والتطوير* خلافاً لكل قوانين ودساتير الدنيا(٢)، كل ذلك بفضل مزايا وخصائص الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، وهو ما سنتناوله بشيءٍ من التفصيل.

ما هي مزايا الإعجاز التشريعي في القرآن؟[٣]

في الواقع عرفت البشرية في عصور التاريخ ألواناً مختلفة من الشرائع الوضعية القديمة كشريعة حمورابي والقانون الروماني، عبّرت عن عقائدها وقيمها، ولكن واحداً منها لم يبلغ من العظمة والروعة والإجلال مبلغ القرآن في إعجازه التشريعي. كيف لا، وشريعة القرآن جاءت شفاءاً للصدور، وهدى للعقول، ورحمة للمؤمنين كما قال تعالى ﴿*يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين*﴾[٤] فما هو سر عظمة وروعة وإجلال الإعجاز التشريعي؟ ولماذا عالميّة هذا الإعجاز وما هو سِرّ خلوده؟! في الواقع لم يكن المصحف الشريف بما عرض من تشريع مُعْتَبَر كأمثل نظام (– في وقت تهاوت فيه الشرائع القديمة ولجأت إليه القوانين الحديثة – حيث كانت تشريعاته منارات يهتدي بها المشرّعون والقانونيون) إلا بفضل مزايا متكاملة وصفات وخصائص ومن أهمها:

١- **الدعوة إلى الوحدانية المطلقة** *الخالصة من جميع شوائب الزيغ والشرك والضلال والإلحاد، وهذا مصداق قوله تعالى ﴿وإلهكم إله واحد لا إله هو الرحمن الرحيم﴾*[٥]، *وقد جاء القرآن الكريم بأحكام العقيدة واضحة وبسيطة وشاملة لكل ما يحتاج إليه البشر ابتداءً من الإيمان بالله واليوم الآخر والأنبياء والرسل والملائكة.*

مؤتمرات عالمية اعترفت بصواب التشريع الاسلامي

٢- **الترغيب بطلب العلم والحث على العمل**، *فالإسلام يحثّ على طلب العلم الذي هو «فريضة على كل مسلم ومسلمة»*[٦]. *وعند مسلمٍ في «الصحيح»: «ما مِنْ رَجُلٍ يسلكُ طريقاً يلتمسُ فيه علماً إلا سهّلَ الله له طريقاً إلى الجنة...»*[٧]، *قال تعالى ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾*[٨].

تشريع الناس يحتاج الى تطوير وشرع الله ثابت وواضح

٣- **تلاحم المؤمنين بالوازع الدينيّ مع نصوص التشريع** حيث يوقظ التشريع القرآني ضمير المؤمن ويحيي فيه وازعاً داخل نفسه يُراقبه ويقوده إلى الصراط المستقيم، وفي الحديث: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[٩]، وهذا بعكس ما يجري في النظم الوضعية حيث يستطيع كثير من الأذكياء التلاعب بالقوانين باختراقها للغشّ والهرب من مستلزماتها ونتائجها كالفِرار من الضرائب كما هو مشاهد في الغرب وأميركا.

٤- **مرونة التشريع** حيث استطاعت الشريعة الإسلامية الغرّاء التطوّر مع كل جديد، دخلت مختلف البيئات والظروف والأزمان منذ أكثر من أربعة عشر قرْناً فما ضاق ذرعها بجديد، بل استجابت لكل مطلب.

فنصوص الشريعة من الكتاب والسُّنة – وإن كانت متناهية ومحدودة ومعلومة– والحوادث لا تنتهي وتتجدّد، فإنها – أي النصوص – تتضمن المبادئ العامة والقواعد الكلية التي لا تنتهي أفرادها، والتي تستجيب لكل ما جَدَّ وحَدَث على مَرّ العصور والأزمان من خلال الاجتهاد، وهذا ما يجعل **الشريعة الإسلامية صالحة للتطبيق في كلّ زمان ومكان**، وفي ذلك يقول العقاد: «وقد استوعب الإسلام مذاهب الاقتصاد – كما استوعب مذاهب الاجتماع– في عصر المصارف والشركات وقروضها، دون أن يعوق مصلحة من مصالحها البريئة في العرف المشروع..»[١٠]، ومع تطاول الزمان وتباعد الأمكنة فإن التشريعات الإسلامية وأحكامها لا تتصادم مع مقتضيات العقول وضرورات الحياة[١١].

رضي المؤمنون بالتشريع وعملوا به فاستقروا

٥- **تساوي الناس كافة أمام التشريع القرآني** في جميع الحقوق والواجبات الإنسانية، مما يغلق الشّر والفساد العريض، والظلم والعبث واتباع الهوى فلا يعبّر عن مصالح فئة معينة دون غيرها ليتهاوى عند سقوطها كما يحصل في إصدار بعض القوانين لمصالح فئة معينة، إن هذا يعين على ترشيد الخلق إلى الوحدة، والائتلاف ومحو العصبيات وإزالة الفوارق والتنازع على الصعيد الاجتماعي.

٦- **الشمولية** حيث تتناول آيات القرآن الكريمة في مجموع أحكامها كل ما تحتاج إليه البشرية من تشريعات خاصة وتشريعات عامة تحقق الاستقرار والطمأنينة للبشر. قال تعالى ﴿*ما فرّطنا في الكتاب من شيء*﴾[١٢]، لقد شملت نصوص القرآن مقاصد شاملة في العقائد، وفي مجال العبادات والمعاملات والأخلاق، والمجال الاجتماعي، والمجال السياسي والحكم وتنظيم علاقات الدولة في حالات السلم والحرب، وفي المجال الاقتصادي، ومجال حقوق الإنسان، ولذلك كله وصف الله تعالى دينه الذي أنزله على محمد ﷺ بأنه قد أكمله فقال: ﴿*اليوم أكملت لكم دينَكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام دينا*﴾[١٣].

٧- **الواقعية بالرّخص** فالقرآن علاوة على أنه يقيم الحياة الإنسانية المثالية على أفضل صورة وأرقى مثال، يقوم أيضا على أساس مراعاة الواقع، والتكيّف مع تغيّر الأحوال والمعاش بحيث يتناسب الحكم مع الأوضاع الجديدة فلا يكون هناك حَرَج ولا مشقّة على الناس ببروز الأحكام البديلة المسمّاة «رُخَص الشرع وتخفيفاته»، قال تعالى: ﴿*يُريد الله بكم اليُسر ولا يُريد بكم العُسر*﴾[١٤]، وقال تعالى ﴿*وما جعل عليكم في الدين من حَرَج*﴾[١٥]، وإلى هذا أشار الشاطبي في الموافقات[١٦] بعبارة «الحاجيّات» وهي الرُّخص كإباحة الفطر في رمضان للمسافر، والتيمّم لمن لا يجد الماء، وفقدانها يعني الحَرَج والضيق، ولعل هذا ما دعى الفقهاء والأصوليين إلى القاعدة الفقهية المشهورة «المشَقَّة تجلب التيسير»[١٧].

ثبات التشريع لا يتناقض مع مرونته

٨- **صلة الأحكام التشريعية بالمفاهيم الأخلاقية**، فالأحكام التشريعية في الإسلام والمفاهيم الأخلاقية لا ينفصلان، لذلك بات من الضروري أن تفهم الأحكام في ظل المفاهيم الأخلاقية التي يُعبَّر عنها بـ «المقاصد» الشرعية. إذ جاء القرآن بإرشاد الخلق إلى فضائل الأخلاق وتنفيرهم من رذائلها، على حدّ التوسط بلا إفراط ولا تفريط[١٨].

٩- **دقة الأسلوب**[١٩] في نصوص التشريع المعجز حيث يكمن في الصياغات القرآنية الرائعة وجوامع الكلم النبويّ التي أتت بمجموعة من المبادئ التشريعية في قوالب مُوجَزة رائعة، ومن أمثلته: قوله تعالى ﴿*ولكم في القصاص حياة*﴾[٢٠] حيث دلّ هذا النص الموجز على مشروعية القصاص[٢١]، وعلى وجوب المثلية في الجزاء، وعلى أن الحكمة فيه هي حماية حياة المجتمع بما فيه الجاني نفسه، وقد قارن البُلغاء بين هذا النص القرآني وبين أوجز نصّ عند الجاهليين العرب البلغاء فوجدوه يفوق عليه بشكل تكاد تكون المُقارَنة بينهما ظُلْماً؛ يقول الخطيب القزويني في التَّعليق على النص القرآني المذكور: «فإنَّ معناه كثير، ولفظه يسير، ولا حذفَ فيه، وفضله على ما كان عندهم أوجز كلام في هذا المعنى – وهو القتل أنفى للقتل – بقلة حروف ما يُناظره منه»[٢٢].

التشريع يتوافق مع الفطرة السليمة

١٠- **موافقة التشريعات للفطرة والعقول المستقيمة**. وصف الله تعالى دينه بأنه دين الفطرة بقوله: ﴿*فأقِمْ وَجْهَكَ للدين حنيفاً ؛ فطرةَ الله التي فَطَر الناسَ عليها لا تبديلَ لخلق الله ذلكَ الدينُ القيِّمُ ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون*﴾[٢٣]، ويدل على موافقة أحكام الإسلام للفطرة الإنسانية النظيفة رجوعها إلى الله تعالى في حالات الشدة، والشعور بقربه تعالى في حالة المحنة، ثم تلك التراجعات في عالم الأفكار والأنظمة البشرية لصالح أحكام الإسلام، سواء كانت في نطاق العقيدة، أو الاجتماع أو الاقتصاد، أو غيرها، ومن أمثلة ذلك: ١- تحريم أميركا للخمر في بداية العقد الثالث من القرن العشرين،٢- عودة أميركا إلى إباحة الطلاق بعد أن كان مُحرَّماً بالقانون،٣- مَنع البَغاء بقانون أصدرته إسبانيا، ٤- تعالي صَرَخات تعدد الزوجات على ألسنة مصلحي أوروبا،٥- اعتراف زعيم فرنسي غداة هزيمة فرنسا في الحرب العالمية الثانية: ﴿*أن سبب انهيار دولتهم هو انغماسهم في الشهوات الجنسية وإسرافهم في المفاسد والمفاتن*﴾[٢٤].

فالفكر الإلحادي اليوم أصبح غير مرغوب فيه لدى السواد الأعظم، ذكر صاحب كتاب: «**الله يتجلى في عصر العلم**» أسماء عشرات من العلماء في مختلف تخصصاتهم وصلوا إلى عميق الإيمان بالله تعالى عبر تجاربهم والخوض في دقائق علومهم[٢٥]، ومن الناحية التطبيقية **للمذهب الاقتصادي الشيوعي** فإنه قد أصابته عدة انتكاسات؛ فبدل أن يسير العالم نحو الشيوعية – كما تنبأ لينين وغيره من أساطين الفكر الشيوعي القدماء – سارت الشيوعية في معقلها نحو الأخذ من النظم الرأسمالية وغيرها، حيث أجازت منذ أواخر السبعينات الملكية الفردية وإن كانت في نطاق ضيق، والتنافس في العمل، لا بل وأسقط الشيوعيون أنفسهم صنم لينين في الساحة الحمراء بموسكو فيما بعد ثم انهار أخيراً الإتحاد السوفياتي، وأما **الفكر الشيوعي الصيني** فقد تنصل من كثير من مبادئ ماركس ولينين، بل قد وردت على ألسنة قادته الجدد انتقادات للأفكار الشيوعية البالية[٢٦] وأيضا فإن السلطة لم تتسلمها طبقة العمال والفلاحين – كما وعدوا – ومن جانب آخر فإن الطبقة العمالية نفسها رفضت الفكر الشيوعي رفضاً باتاً كما حصل في بولندا، كل ذلك شكل طعنات قاصمة لظهر الشيوعية التي جاءت لتضرب الدين وعلى الأخص الدين الإسلامي الحق، ومن جهة أخرى دل على فساد الفكر الشيوعي وعدم ملاءمته للفطرة التي فطر الله الناس عليها، وكذلك الأمر في **النظام الرأسمالي** الذي أدى إلى الانهيارات المالية عام ٢٠٠٩-٢٠١٠ حيث تبخرت الأموال إضافة إلى الجشع والاحتكار، والفساد والتحلل الأخلاقي، والفساد الاجتماعي، والتفكك الأسري، ومشاكل الديون والتضخم والبطالة، **فهذه التراجعات الفكرية في العالم الغربي والشرقي نراها كلها لصالح الإسلام** وذلك لأنها تراجعات إلى الفطرة[٢٧]، **فهذا إعجاز لا شك فيه.**

الاحكام التشريعية عامة وعادلة ولا تفاضل بين الناس

١١- **الوسطية والتوازن**. أما وسطية الشريعة فتكمن في توازنها بين متطلبات الروح والمادة، وشؤون الدنيا والآخرة، وبين حقوق الفرد والجماعة، وحقوق الله تعالى، وحقوق العباد، وبين الواقعية والمثالية، والثبات والمرونة، حيث استطاع الإسلام أن يقيم نظاماً يعطي كل ذي حق حقه، ويقيم العدالة والقسطاس المستقيم بلا وكس ولا شطط ولا غلو ولا تقصير، ولا إفراط ولا تفريط[٢٨]، فعلى سبيل المثال نَجد **اليهودية** قد غلت غلوّاً كبيراً في المادية وفي عقيدة اليهود نحو أنبيائهم (حيث قَذفوا السيدة مريم عليها السلام)، **وفي نظرهم إلى جنسهم** باعتبارهم **شعب الله المختار**، وكذلك غلت **المسيحية** في الروحية، وفي تأليه عيسى، حيث جعلوه ربّاً، وفي نظرهم إلى الدنيا والرَّهْبَنَة فيها، فالإفراط والتفريط كله سيئة وكفر[٢٩]، وكذلك **القانون الروماني** حيث نظر إلى الشعب الروماني واعتبره سيّد الشعوب، ولذلك لم يعط الأهلية الكاملة إلا لمن كان رومانياً[٣٠]، وحتى في

القوانين الحديثة نجد أن النظام الخاص **بالأمم المتحدة** أعطى ميزات كثيرة للدول الخمس الكبرى – من خلال الڤيتو – مع أنها منظمة دولية كان الأجدر بها العدالة إذ دلت الأحداث إنها تكيل بمكيالين.

١٢- تعليل النصوص بمصالح العباد ومقاصد التشريع[٣١].

إن إعمال العقل في أكثر النصوص من آيات القرآن والسُّنّة مع تدبّر معانيها يقود إلى وجود علة رعاية مصالح العباد – وهو الذي ذكره الشاطبي في «**الموافقات**» في مواضع كثيرة من الجزء الثاني– وبما تقتضيه المقاصد العامة للتشريع، وهنا يكمن سِرّ إعجازها.

وتنقسم المصالح بالنسبة لحفظ مقاصد الشريعة إلى ثلاثة أقسام: الضروريات، والحاجيات والتحسينات التي ذكرها الشاطبي في «**الموافقات**»[٣٢] **فالضروريات** كما سبق وأشرنا إليه مثل أركان الإسلام والإيمان: إذا فُقدت اختل نظام الحياة وعمَّت فيه الفوضى، وهي خمس: الدين والنفس، والعقل، والنَّسل، والمال وهي أقوى مراتب المصالح، **والحاجيات** هي الرُّخَص، كإباحة الفطر في رمضان للمسافر، وفقدانها يعني الضيق والحرَج، **والآداب التحسينية** كآداب الأكل، وستر العَوْرة: إذا فقدت تصبح حياة الناس مُستَنكَرة في تقدير العقول الراجحة والفطر السليمة، فهي ترجع لمكارم الأخلاق ومحاسن العادات والمروءة.

وتنقسم المصالح من حيث اعتبار الشارع لها إلى ثلاثة أقسام[٣٣].

١- المصالح المعتبرة التي قام الدليل عليها بالنصّ وأمثلتها كثيرة، منها: قوله تعالى ﴿*ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض*﴾[٣٤]، فالمصلحة المعتبرة هي الابتعاد عن الأذى البدني والنفسي خلال الحيض.

٢- **المصالح المُلغاة** وهي التي شهد الشارع بردّها وجَعْلها مُلغاة وأمثلتها كثيرة، منها التسوية بين الذكور والإناث في الميراث، فهي مصلحة مُتَوَهَّمَة، مُلغاة، بدليل قوله تعالى ﴿*يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين*﴾[٣٥]، ومنها لعب القمار وسبق الخيل وشرب الخمر، والزنى، والمثلية الجنسية التي ألغتها نصوص القرآن الكريم، فأين تشريعات القوانين الغربية من هذه المصالح الملغاة؟

٣- **المصالح المُرْسلة:** وهي التي لم يقم دليل من الشارع لا على اعتبارها ولا على إلغائها، وإنما سُمّيَت مُرْسلة لأن الشارع أطلقها، فلم يُقيّدها باعتبار ولا إلغاء. ومن أمثلة ذلك في تقنيننا الحديث: اشتراط الإشهاد الشرعي لصحة الوقف، واشتراط سنّ معينة لمباشرة عقد الزواج، ومَنْع سماع الدعوى في عدّة وقائع بيّنها القانون إلاّ بوثائق رسمية[٣٦]، وفي هذه المصالح المَرسلة باب من أبواب المرونة في التشريع حيث تنتهي النصوص ولا تنتهي الحوادث، وسِرٌّ من أسرار إعجاز القرآن التشريعي.

---

(١) أستاذ التفسير في كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية – بيروت.
(٢) الزرقا «**المدخل الفقهي العام**» (١/٢٣-٢٤، ٣٠٧) ط دار القلم – بيروت.
(٣) محمد سعيد منصور «**منزلة السُّنة من الكتاب**» الصفحة (٦١-٦٥)، القرّه داغي «**الإعجاز التشريعي**» الصفحة (٩-٣٤).
(٤) يونس/٥٧.
(٥) البقرة/ ١٦٣.
(٦) حديث حسن رواه ابن ماجه.
(٧) أخرجه مسلم.
(٨) الزمر/ ٩.
(٩) متفق عليه.
(١٠) العقاد «**التفكير فريضة إسلامية**» الصفحة (٢٠) ط دار القلم.
(١١) الكبيسي «**علم الإعجاز القرآني**» الصفحة (١٩٥).
(١٢) الأنعام/ ٣٨.
(١٣) المائدة /٣.
(١٤) البقرة/ ١٨٥.
(١٥) الحج/ ٧٨.
(١٦) الشاطبي «**الموافقات في أصول الشريعة**» (٢/٨).
(١٧) السيوطي «**الأشباه والنظائر**» الصفحة (٧٠)، ابن نجيم «**الأشباه والنظائر**» الصفحة (٧٥).
(١٨) الكبيسي «**علم الإعجاز القرآني**» الصفحة (١٩٧).
(١٩) القره داغي «**الإعجاز التشريعي في القرآن والسُّنَّة**» الصفحة (١٨).
(٢٠) البقرة/ ١٧٩.
(٢١) القصاص: هو أن يُفعل بالفاعل مثل ما فعل. الجرجاني «**التعريفات**» الصفحة (٢٥٧).
(٢٢) الخطيب «**تلخيص المفتاح**» الصفحة (٦٦١) المطبوع ضمن «**مجموع المتون**».
(٢٣) الروم/ ٣٠.
(٢٤) الزرقاني «**مناهل العرفان**» (٢/٤٠٧-٤٠٩)، وانظر «**علم الإعجاز القرآني**» للكبيسي الصفحة (٢٠٠-٢٠١).
(٢٥) انظر لمزيد من التفاصيل كتاب البوطي «**نقض أوهام المادية الجدلية (الديالكتيكية)**».
(٢٦) ذكرت ذلك الصحف العالمية والمحلية بعد وفاة ماوتسي تونغ، وانتقاد ثورته.
(٢٧) راجع كتاب «**ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**» للندوي الصفحة (٣٧٨) فما بعد.
(٢٨) القرضاوي «**الخصائص العامة للإسلام**» الصفحة ١١٤.
(٢٩) وإلى هذه الإشارة، أشار البخاري رحمه الله، فقد أفرد في «صحيحه» كما في الفتح (١٣/٢٧٥) باباً سمّاه: ما يكره من التعمّق والتنازع والغُلُوّ في الدين والبدَعِ ساق تحته جملةً من أحاديث المصطفى ﷺ.
(٣٠) د. صوفي أبو طالب: «**الوجيز في القانون الروماني**»، ط دار النهضة ص: ٢١٢-٢٥٥ ود. شفيق شحاته: «**نظرية الالتزامات في القانون الروماني**» ط. وهبة الصفحة (٢٨٢-٣٩٦).
(٣١) محمد سعيد منصور «**منزلة السنة من الكتاب**» الصفحة (٦٤).
(٣٢) الشاطبي «**الموافقات**» (٢/٨-١٢).
(٣٣) الغزالي «**المستصفى**» (١/١٣٩)، الرازي «**المحصول**» (٢/٢٣٩-٢٤٢)، البوطي «**ضوابط المصلحة**» الصفحة (٢٢١).
(٣٤) البقرة/٢٢٢.
(٣٥) النساء/١١.
(٣٦) خلاّف «**مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه**» الصفحة (٧٣).

ذو القرنين شخصية حيرت المفكرين أربعة عشر قرناً

الدكتور عبد المنعم النمر*

صورة لتمثال غورش العظيم في حديقة أولبي في سدني

قال الله تعالى: ﴿*وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا* [٨٣] *إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا* [٨٤] *فَأَتْبَعَ سَبَبًا* [٨٥] *حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا* [٨٦] *قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا* [٨٧] *وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءَ الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا* [٨٨] *ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا* [٨٩] *حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا* [٩٠] *كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا* [٩١] *ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا* [٩٢] *حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا* [٩٣] *قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا* [٩٤] *قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا* [٩٥] *آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا* [٩٦] *فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا* [٩٧] *قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا* [٩٨]﴾[سورة الكهف].

ماذا قال المفسرون والمؤرخون عن ذو القرنين ؟

يذكر تفسير الكشاف للزمخشري: أنه الإسكندر وقيل أنه عبد صالح، نبي، ملك، وذكر رواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أنه سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقًا وغربًا.

وقيل كان لتاجه قرنان. كان على رأسه ما يشبه القرنين.. ويذكر الإمام ابن كثير في تفسيره: أنه الإسكندر ثم يبطل هذا. وقيل كان في زمن الخليل إبراهيم عليه السلام وطاف معه بالبيت. وقيل عبد صالح. وأورد في تاريخه « البداية والنهاية « جـ ٢ ص ١٠٢ مثل ذلك وزاد أنه نبي أو مَلك. أما القرطبى في تفسيره فقد أورد أقوالا كثيرة أيضا: كان من أهل مصر واسمه «مرزبان»، ونقل عن ابن هشام أنه الاسكندر، كما نقل روايات عن الرسول صلى الله عليه وسلم، بأنه ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب. وعن عمر وعن علي رضي الله عنهما بأنه مَلَك.. أو عبد صالح وهي روايات غير صحيحة. وقيل أنه الصعب بن ذي يزن الحميري، وكلها روايات وأقوال تخمينية ولا سند لها. أما الآلوسى في تفسيره، فقد جمع الأقوال السابقة كلها تقريبًا، وقال: لا يكاد يسلم فيها رأي، ثم اختار أنه الاسكندر المقدوني ودافع عن رأيه بأن تلمذته لأرسطو، لا تمنع من أنه كان عبدًا صالحا.. أما المفسرون المحدثون فكانوا كذلك ينقلون عن الأقدمين.

صورة لتمثال غورش العظيم في إيران يظهر بوضوح فوق رأسه القرنين

ذو القرنين لا علاقة له بالاسكندر المقدوني بشهادة اليونان

موقف أبو الكلام آزاد من هذه الأقوال

لم يرتض أبو الكلام آزاد (عالم الهند المعروف ترجم معاني القرآن إلى اللغة الأوردية) قولاً من هذه الأقوال، بل ردها، وقال عنها: إنها قامت على افتراض خاطئ لا يدعمه دليل، وعني بالرد على من يقول بأنه الإسكندر المقدوني.. بأنه لا يمكن أن يكون هو المقصود بالذكر في القرآن، إذ لا تعرف له فتوحات بالمغرب، كما لم يعرف عنه أنه بنى سدًا، ثم إنه ما كان مؤمنًا بالله، ولا شفيقًا عادلاً مع الشعوب المغلوبة، وتاريخه مدون معروف. كما عني بالرد على من يقول بأنه عربي يمني.. بأن سبب النزول هو سؤال اليهود للنبي عليه الصلاة والسلام عن ذي القرنين لتعجيزه وإحراجه. ولو كان عربيا من اليمن لكان هناك احتمال قوي لدى اليهود- على الأقل- أن يكون عند قريش علم به، وبالتالي عند النبي صلى الله عليه وسلم، فيصبح قصد اليهود تعجيز الرسول عليه الصلاة والسلام غير وارد ولا محتمل. لكنهم كانوا متأكدين حين سألوه بأنه لم يصله خبر عنه، وكانوا ينتظرون لذلك عجزه عن الرد.. سواء قلنا بأنهم وجهوا السؤال مباشرة أو أوعزوا به للمشركين في مكة ليوجهوه للرسول عليه الصلاة والسلام. ثم قال: « والحاصل أن المفسرين لم يصلوا إلى نتيجة مقنعة في بحثهم عن ذي القرنين، القدماء منهم لم يحاولوا التحقيق، والمتأخرون حاولوه، ولكن كان نصيبهم الفشل. ولا عجب فالطريق الذي سلكوه كان طريقًا خاطئًا. لقد صرحت الآثار بأن السؤال كان من قبل اليهود- وجهوه مباشرة أو أوعزوا لقريش بتوجيهه -فكان لائقًا بالباحثين أن يرجعوا إلى أسفار اليهود ويبحثوا هل يوجد فيها شيء يلقي الضوء على شخصية ذي القرنين، إنهم لو فعلوا ذلك لفازوا بالحقيقة».

لماذا ؟ لأن توجيه السؤال من اليهود للنبي عليه الصلاة والسلام لإعجازه ينبيء عن أن لديهم في كتبهم وتاريخهم علمًا به، مع تأكدهم بأن النبي عليه الصلاة والسلام أو العرب لم يطلعوا على ما جاء في كتبهم.. فكان الاتجاه السليم هو البحث عن المصدر الذي أخذ منه اليهود علمهم بهذا الشخص.. ومصدرهم الأول هو التوراة.

وأمسك أزاد بالخيط

وهذا هو الذي اتجه إليه أزاد، وأمسك بالخيط الدقيق الذي وصل به إلى الحقيقة.. وقرأ وبحث ووجد في الأسفار، وما ذكر فيها من رؤى للأنبياء من بني إسرائيل وما يشير إلى أصل التسمية: «ذي القرنين» أو « لوقرانائيم» كما جاء في التوراة.. وما يشير كذلك إلى الملك الذي أطلقوا عليه هذه الكنية، وهو الملك «كورش» أو «خورس» كما ذكرت التوراة وتكتب أيضا «غورش» أو «قورش».

هل يمكن الاعتماد على التوراة وحدها ؟

يقول أزاد: « خطر في بالي لأول مرة هذا التفسير لذي القرنين في القرآن، وأنا أطالع سفر دانيال ثم اطلعت على ما كتبه مؤرخو اليونان فرجح عندي هذا الرأي، ولكن شهادة أخرى خارج التوراة

لم تكن قد قامت بعد، إذ لم يوجد في كلام مؤرخي اليونان ما يلقي الضوء على هذا اللقب.

تمثال كورش

ثم بعد سنوات لما تمكنت من مشاهدة آثار إيران القديمة ومن مطالعة مؤلفات علماء الآثار فيها زال الحجاب، إذ ظهر كشف أثري قضى على سائر الشكوك، فتقرر لدي بلا ريب أن المقصود بذي القرنين ليس إلا كورش نفسه فلا حاجة بعد ذلك أن نبحث عن شخص آخر غيره. «إنه تمثال على القامة الإنسانية، ظهر فيه كورش، وعلى جانبيه جناحان، كجناحي العقاب، وعلى رأسه قرنان كقرني الكبش، فهذا التمثال يثبت بلا شك أن تصور «ذي القرنين» كان قد تولد عند كورش، ولذلك نجد الملك في التمثال وعلى رأسه قرنان» أي أن التصور الذي خلقه أو أوجده اليهود للملك المنقذ لهم «كورش» كان قد شاع وعرف حتى لدى كورش نفسه على أنه الملك ذو القرنين.. أي ذو التاج المثبت على ما يشبه القرنين..

صورة لخريطة تبين مكان سد ذي القرنين كما ذكره آزاد

كورش بين القرآن والتاريخ

ومع أن ما وصل إليه أزاد قد يعتبر لدى الباحثين كافيًا، إلا أنه مفسر للقرآن وعليه أن يعقد المقارنة بين ما وصل إليه وبين ما جاء به القرآن عن ذي القرنين أو عن الملك كورش.. إذ أن هذا يعتبر الفيصل في الموضوع لدى المفسر المؤمن بالقرآن.. ويقول أزاد: أنه لم توجد مصادر فارسية يمكن الاعتماد عليها في هذا، ولكن الذي أسعفنا هو الكتب التاريخية اليونانية، ولعل شهادتها، تكون أوثق وأدعى للتصديق، إذ أن المؤرخين اليونان من أمة كان بينها وبين الفرس عداء مستحكم ومستمر، فإذا شهدوا لكورش فإن شهادتهم تكون شهادة حق لا رائحة فيها للتحيز، ويستشهد أزاد في هذا المقام بقول الشاعر العربي :

و مليحة شهدت لها ضراتها
والفضل ما شهدت به الأعداء

فقد أجمعوا على أنه كان ملكًا عادلاً، كريمًا، سمحًا، نبيلاً مع أعدائه، صعد إلى المقام الأعلى من الإنسانية معهم. وقد حدد أزاد الصفات التي ذكرها القرآن لذي القرنين، ورجع لهذه المصادر اليونانية فوجدها متلاقية تمامًا مع القرآن الكريم، وكان هذا دليلاً قويًا آخر على صحة ما وصل إليه من تحديد لشخصية ذي القرنين، تحديدًا لا يرقى إليه شك..

ذو القرنين ملك فارسي صالح وعادل

فمن كورش أو قورش إذًا ؟

إنه من أسرة فارسية ظهر في منتصف القرن السادس قبل الميلاد في وقت كانت فيه بلاده منقسمة إلى دويلتين تقعان تحت ضغط حكومتي بابل وآشور القويتين،

لتاجه قرنان

فاستطاع توحيد الدولتين الفارسيتين تحت حكمه، ثم استطاع أن يضم إليها البلاد شرقًا وغربًا بفتوحاته التي أشار إليها القرآن الكريم، وأسس أول إمبراطورية فارسية، وحين هزم ملك بابل سنة ٥٣٨ ق.م. أتاح للأسرى اليهود فيها الرجوع لبلادهم، مزودين بعطفه ومساعدته وتكريمه. كما أشرنا إلى ذلك من قبل.. وظل حاكمًا فريدًا في شجاعته وعدله في الشرق حتى توفي سنة ٥٢٩ ق.م.

سد يأجوج ومأجوج

إنما نسميه بهذا لأنه بني لمنع الإغارات التي كانت تقوم بها قبائل يأجوج ومأجوج من الشمال على الجنوب، كما يسمى كذلك سد «ذي القرنين» لأنه هو الذي أقامه لهذا الغرض.. ويقول أزاد: « لقد تضافرت الشواهد على أنهم لم يكونوا إلا قبائل همجية بدوية من السهول الشمالية الشرقية، تدفقت سيولها من قبل العصر التاريخي إلى القرن التاسع الميلادي نحو البلاد الغربية والجنوبية، وقد سميت بأسماء مختلفة في عصور مختلفة، وعرف قسم منها في الزمن المتأخر باسم «ميغر» أو «ميكر» في أوروبا.. وباسم التتار قي آسيا، ولاشك أن فرعًا لهؤلاء القوم كانوا قد انتشروا على سواحل البحر الأسود في سنة ٦٠٠ ق.م.

وأغاروا على آسيا الغربية نزولاً من جبال القوقاز، ولنا أن نجزم بأن هؤلاء هم الذين شكت الشعوب الجبلية غاراتهم إلى «كورش» فبني السد الحديدي لمنعها»، وتسمى هذه البقعة الشمالية الشرقية الموطن الأصلي لهؤلاء باسم «منغوليا « وقبائلها الرحالة «منغول»، وتقول لنا المصادر اليونانية أن أصل منغول هو «منكوك» أو «منجوك» وفي الحالتين تقرب الكلمة من النطق العبري «ماكوك» والنطق اليوناني «ميكاك» ويخبرنا التاريخ الصيني عن قبيلة أخرى من هذه البقعة كانت تعرف باسم «يواسي» والظاهر أن هذه الكلمة ما زالت تحرف حتى أصبحت يأجوج في العبرية.. « ويقول : « إن كلمتي: « يأجوج ومأجوج « تبدوان كأنهما عبريتان في أصلهما ولكنهما في أصلهما قد لا تكونان عبريتين، إنهما أجنبيتان اتخذتا صورة العبرية فهما تنطقان باليونانية «كاك Gag» و«ماكوك Magog» وقد ذكرتا بهذا الشكل في الترجمة السبعينية للتوراة، وراجتا بالشكل نفسه في سائر اللغات الأوروبية «. والكلمتان تنطقان في القرآن الكريم بهمز وبدون همز.

وقد استطرد أزاد بعد ذلك لذكر الأدوار السبعة أو الموجات السبع التي قام بها هؤلاء بالإغارة على البلاد الغربية منها والجنوبية.

توفي كورش سنة ٥٢٩ ق.م.

مكان السد:

ثم يحدد مكان السد بأنه في البقعة الواقعة بين بحر الخرز «قزوين» و«البحر الأسود» حيث توجد سلسلة جبال القوقاز بينهما، وتكاد تفصل بين الشمال والجنوب إلا في ممر كان يهبط منه المغيرون من الشمال للجنوب، وفي هذا الممر بنى كورش سده، كما فصله القرآن الكريم، وتحدثت عنه كتب الآثار والتاريخ. ويؤكد أزاد كلامه بأن الكتابات الأرمنية – وهي كشهادة محلية – تسمي هذا الجدار أو هذا السد من قديم باسم « بهاك غورائي» أو «كابان غورائي» ومعنى الكلمتين واحد وهو مضيق «غورش» أو «ممر غورش» و«غور» هو اسم «غورش أو كورش». ويضيف أزاد فوق هذا شهادة أخرى لها أهميتها أيضًا وهي شهادة لغة بلاد جورجيا التي هي القوقاز بعينها. فقد سمي هذا المضيق باللغة الجورجية من الدهور الغابرة باسم « الباب الحديدي «.

وبهذا يكون أزاد قد حدد مكان السد وكشف المراد من يأجوج ومأجوج.. وقد تعرض لدفع ما قيل أن المراد بالسد هو سد الصين، لعدم مطابقة مواصفات سد الصين لمواصفات سد ذي القرنين ولأن هذا بني سنة ٢٦٤ ق.م. بينما بني سد ذي القرنين في القرن السادس قبل الميلاد. كما تعرض للرد على ما قيل بأن المراد بالسد هو جدار دربند، أو باب الأبواب كما اشتهر عند العرب بأن جدار دربند بناه أنوشروان (من ملوك فارس من ٥٣١ – ٥٧٩م) بعد السد بألف سنة، وأن مواصفاته غير مواصفات سد ذي القرنين وهو ممتد من الجبل إلى الساحل ناحية الشرق وليس بين جبلين كما أنه من الحجارة ولا أثر فيه للحديد والنحاس.

والمقصود بمطلع الشمس هو رحلته الثانية شرقًا التي وصل فيها إلى حدود باكستان وأفغانستان ليؤدب القبائل البدوية الجبلية التي كانت تغير على مملكته. والمراد ببين السدين أي بين جبلين من جبال القوقاز التي تمتد من بحر الخزر (قزوين) إلى البحر الأسود حيث إتجه شمالاً. ولقد كان أزاد بهذا البحث النفيس أول من حل لنا هذه الإشكالات التي طال عليها الأمد، وحيرت كل المفكرين قبله. وحقق لنا هذا الدليل، من دلائل النبوة الكثيرة.. رحمه الله وطيب ثراه..

---

* وزير أوقاف سابق وكاتب إسلامي مصري. من مقال للدكتور عبد المنعم النمر بمجلة العربي العدد ١٨٤.

وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.quran-m.com

خير خلق الله

١٥- صلاته صلى الله عليه وسلم*

بقلم أ.ع.

بسم الله الرحمن الرحيم

من فضل الله على الناس بعد أن انزل القرآن الكريم أنه جعل النبي صلى الله عليه وسلم قارئاً له ومفسراً ، وحافظاً ومحفظا. وما اقتصر دوره على تعليم القرآن بل على تعليم شرع الله كله وتطبيقه وأول ما دعا إليه بعد التوحيد والنطق بالشهادتين، كان حض الناس على الصلاة وتعليمهم أنواعها وكيفيتها.

فبعد أن يعلم المسلم أهميتها وفرضيتها يتعلم من الأسوة والقدوة صلى الله عليه وسلم كيف يؤديها ويحسن القيام بها ولا تؤخذ الصلاة إلا عن رسول الله كما نقلها عنه خيرة صحابته ونخبة علماء المسلمين من بعدهم، لقوله صلى الله عليه وسلم:-ح:» صلوا كما رأيتموني أصلي».

ومن الضروري التذكير بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأت بالصلاة من عنده وإنما تعلمها من سيدنا جبريل عليه السلام بأمر إلهي، وتعلم مواقيتها وشروطها وأركانها ومبطلاتها وما إلى ذلك، قال تعالى في سورة النجم: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾.

وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على نوعين: صلاة الفريضة وهن الصلوات الخمس ثم سننهن الرواتب، ثم صلوات النفل في الليل والنهار، ولن تجد أحداً من الخلق يتقن جميع هذه الصلوات ويحافظ عليهن، ويحسن أداءهن كما أداهن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وسنوجز في هذا العدد وصف صلاته صلى الله عليه وسلم للفرائض والسنن الرواتب ، على أن نترك للعدد القادم وصف صلاته صلى الله عليه وسلم نفلاً ليلاً ونهاراً. ولنستنتج بعد ذلك هل سمعنا أو رأينا صلاةً خيراً من صلاة خير خلق الله؟

نبدأ بوصف أدائه لصلاة الفريضة:

[تكبيرة الإحرام]: كَانَ دَأْبُهُ في إحْرَامه لَفْظَةَ اللّهُ أَكْبَرُ لَا غَيْرَهَا وَلَمْ يَنْقُلْ أَحَدٌ عَنْهُ سِوَاهَا. وَكَانَ يَرْفَعُ يَدَيْه مَعَهَا مَمْدُودَةَ الْأَصَابِع مُسْتَقْبِلًا بِهَا الْقِبْلَةَ إلَى فُرُوعِ أُذُنَيْه وَرُوِيَ إلَى مَنْكِبَيْه.

[الاِسْتِفْتَاحُ]:كَانَ يَسْتَفْتِحُ تَارَةً ب: «اللّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِق وَالْمَغْرِب اللّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالْمَاء وَالثّلْج وَالْبَرَد اللّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ الذّنُوب وَالْخَطَايَا كَمَا يُنَقّى الثّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنْ الدّنَسِ» وَتَارَةً يَقُولُ: «وَجّهْتُ وَجْهِيَ لِلّذِي فَطَرَ السّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ إنّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْت وَأَنَا أَوّلُ الْمُسْلِمِينَ». وَرُوِيَ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ يَسْتَفْتِحُ بِسُبْحَانَكَ اللّهُمّ وَبِحَمْدِك وَتَبَارَكَ اسْمُك وَتَعَالَى جَدّك وَلَا إلَهَ غَيْرُك.

[القراءة]: وَكَانَ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ أَعُوذُ بِاَللّهِ مِنْ الشّيْطَانِ الرّجِيمِ ثُمّ يَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ وَكَانَ يَجْهَرُ بِبِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ تَارَةً أَوْ يُخْفِيهَا وَكَانَتْ قِرَاءَتُهُ مَدّا يَقِفُ عِنْدَ كُلّ آيَةٍ وَيَمُدّ بِهَا صَوْتَهُ. فَإِذَا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ قَالَ « آمِينَ » فَإِنْ كَانَ يَجْهَرُ بِالْقِرَاءَةِ رَفَعَ بِهَا

صَوْتَهُ وَقَالَهَا مَنْ خَلْفَهُ وَكَانَ لَهُ سَكْتَتَانِ سَكْتَةٌ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ وَاخْتُلِفَ فِي الثَّانِيَةِ فَرُوِيَ أَنَّهَا بَعْدَ الْفَاتِحَةِ. وَقِيلَ إنَّهَا بَعْدَ الْقِرَاءَةِ وَقَبْلَ الرُّكُوعِ.

وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ بِنَحْوِ ستّينَ آيَةً إلَى مائَة آيَة وَصَلّاهَا بِسُورَةِ (ق) وَصَلّاهَا بِـ(الرُّوم) وَصَلّاهَا بِـ(إذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) وَصَلّاهَا بِـ﴿إذَا زُلْزِلَتْ﴾ فِي الرَّكْعَتَيْنِ كِلَيْهِمَا وَصَلّاهَا بِـ(الْمُعَوِّذَتَيْنِ) وَكَانَ فِي السَّفَرِ وَصَلّاهَا فَافْتَتَحَ بِـ(سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ) حَتّى إذَا بَلَغَ ذِكْرَ مُوسَى وَهَارُونَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى أَخَذَتْهُ سَعْلَةٌ فَرَكَعَ. وَكَانَ يُصَلّيهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِـ(الم تَنْزِيلُ) السَّجْدَةِ وَسُورَةِ (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ).

وَأَمّا الظُّهْرُ فَكَانَ يُطِيلُ قِرَاءَتَهَا أَحْيَانًا، وَأَمّا الْعَصْرُ فَعَلَى النِّصْفِ مِنْ قِرَاءَةِ صَلَاةِ الظُّهْرِ إذَا طَالَتْ وَبِقَدْرِهَا إذَا قَصُرَتْ. وَكَانَ رَسُولُ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَتَيْنِ وَيُسْمِعُ الْآيَةَ لمن خلفه أَحْيَانًا.

وقَرَأَ فِي الْمَغْرِبِ بِـ(المص) وَأَنَّهُ قَرَأَ فِيهَا بِـ(الصّافّات) وَأَنَّهُ قَرَأَ فِيهَا بِـ(حم الدّخَان) وَأَنَّهُ قَرَأَ فِيهَا بِـ(سَبِّحْ اسْمَ رَبِّك الْأَعْلَى) وَأَنَّهُ قَرَأَ فِيهَا بِـ(التّين وَالزّيْتُون) وَأَنَّهُ قَرَأَ فِيهَا بِـ(الْمُعَوِّذَتَيْنِ) وَأَنَّهُ قَرَأَ فِيهَا بِـ(الْمُرْسَلَاتِ) وَأَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فِيهَا بِقِصَارِ الْمُفَصّلِ.

وَأَمّا الْعِشَاءُ الْآخِرَةُ فَقَرَأَ فِيهَا صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِـ(وَالتّين وَالزّيْتُون) وَوَقّتَ لِمُعَاذٍ فِيهَا بِـ(وَالشّمْسِ وَضُحَاهَا) و(سَبِّحْ اسْمَ رَبِّك الْأَعْلَى) (وَاللّيْلِ إذَا يَغْشَى) وَنَحْوِهَا.

وَأَمّا الْجُمُعَةُ فَكَانَ يَقْرَأُ فِيهَا بِسُورَتَيْ (الْجُمُعَةِ) و(الْمُنَافِقِينَ) كَامِلَتَيْنِ و(سُورَةِ سَبِّحْ) و(الْغَاشِيَةِ).

وَأَمّا قِرَاءَتُهُ فِي الْأَعْيَادِ فَتَارَةً كَانَ يَقْرَأُ سُورَتَيْ (ق) و(اقْتَرَبَتْ) كَامِلَتَيْنِ وَتَارَةً سُورَتَيْ (سَبِّحْ) و(الْغَاشِيَةِ).

[إطالة القراءة في الركعة الأولى على الثانية]: وَكَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُطِيلُ الرَّكْعَةَ الْأُولَى عَلَى الثّانِيَةِ مِنْ صَلَاةِ الصّبْحِ وَمِنْ كُلِّ صَلَاةٍ وَرُبّمَا كَانَ يُطِيلُهَا حَتّى لَا يُسْمَعَ وَقْعُ قَدَمٍ وَكَانَ يُطِيلُ صَلَاةَ الصّبْحِ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الصّلَوَاتِ وَهَذَا لِأَنّ قُرْآنَ الْفَجْرِ مَشْهُودٌ يَشْهَدُهُ اللّهُ تَعَالَى وَمَلَائِكَتُهُ وَقِيلَ يَشْهَدُهُ مَلَائِكَةُ اللّيْلِ وَالنّهَارِ فَإِنّهَا تَكُونُ عَقِيبَ النّوْمِ وَالنّاسُ مُسْتَرِيحُونَ. وَأَيْضًا فَإِنّهُمْ لَمْ يَأْخُذُوا بَعْدُ فِي اسْتِقْبَالِ الْمَعَاشِ وَأَسْبَابِ الدّنْيَا. وَأَيْضًا فَإِنّهَا تَكُونُ فِي وَقْتٍ تَوَاطَأَ فِيهِ السّمْعُ وَاللّسَانُ وَالْقَلْبُ لِفَرَاغِهِ وَعَدَمِ تَمَكّنِ الِاشْتِغَالِ فِيهِ فَيَفْهَمُ الْقُرْآنَ وَيَتَدَبّرُهُ. وَأَيْضًا فَإِنّهَا أَسَاسُ الْعَمَلِ وَأَوّلُهُ فَأُعْطِيَتْ فَضْلًا مِنْ الِاهْتِمَامِ بِهَا.

[الركوع]: وَكَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا فَرَغَ مِنْ الْقِرَاءَةِ سَكَتَ بِقَدْرِ مَا يَتَرَادّ إلَيْهِ نَفَسُهُ ثُمّ رَفَعَ يَدَيْهِ كَمَا تَقَدّمَ وَكَبّرَ رَاكِعًا وَوَضَعَ كَفّيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ كَالْقَابِضِ عَلَيْهِمَا وَوَتّرَ يَدَيْهِ فَنَحّاهُمَا عَنْ جَنْبَيْهِ وَبَسَطَ ظَهْرَهُ وَمَدّهُ وَاعْتَدَلَ وَلَمْ يَنْصِبْ رَأْسَهُ وَلَمْ يَخْفِضْهُ بَلْ يَجْعَلُهُ حِيَالَ ظَهْرِهِ مُعْتَادًا لَهُ. وَكَانَ يَقُولُ سُبْحَانَ رَبّيَ الْعَظِيمِ وَتَارَةً يَقُولُ مَعَ ذَلِكَ: «سُبْحَانَكَ اللّهُمّ رَبّنَا وَبِحَمْدِك اللّهُمّ اغْفِرْ لِي» وَكَانَ رُكُوعُهُ الْمُعْتَادُ مِقْدَارَ عَشْرِ تَسْبِيحَاتٍ وَسُجُودُهُ كَذَلِكَ. ثُمّ كَانَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ بَعْدَ ذَلِكَ قَائِلًا : سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ كَمَا تَقَدّمَ.

وَكَانَ دَائِمًا يُقِيمُ صُلْبَهُ إذَا رَفَعَ مِنْ الرّكُوعِ وَبَيْنَ السّجْدَتَيْنِ وَكَانَ إذَا اسْتَوَى قَائِمًا قَالَ رَبّنَا لَك الْحَمْدُ. وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ إطَالَةُ هَذَا الرّكْنِ بِقَدْرِ الرّكُوعِ وَالسّجُودِ فَصَحّ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ يَقُولُ سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ اللّهُمّ رَبّنَا لَك الْحَمْدُ مِلْءَ السّمَوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ أَهْلَ الثّنَاءِ وَالْمَجْدِ أَحَقّ مَا قَالَ الْعَبْدُ وَكُلّنَا لَك عَبْدٌ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْت وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْت وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدّ مِنْك الْجَدّ وَكَانَ يَقُولُ فِيهِ اللّهُمّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثّلْجِ وَالْبَرَدِ وَنَقّنِي مِنْ الذّنُوبِ وَالْخَطَايَا كَمَا يُنَقّى الثّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنْ الدّنَسِ وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَصَحّ عَنْهُ أَنّهُ كَرّرَ فِيهِ قَوْلَهُ لِرَبّي الْحَمْدُ لِرَبّي الْحَمْدُ حَتّى كَانَ بِقَدْرِ الرّكُوعِ.

[السجود]: ثُمّ كَانَ يُكَبّرُ وَيَخِرّ سَاجِدًا وَلَا يَرْفَعُ يَدَيْهِ، وإذَا سَجَدَ وَضَعَ رُكْبَتَيْهِ قَبْلَ يَدَيْهِ وَإِذَا نَهَضَ رَفَعَ يَدَيْهِ قَبْلَ رُكْبَتَيْهِ، وَكَانَ إذَا سَجَدَ مَكّنَ جَبْهَتَهُ وَأَنْفَهُ مِنْ الْأَرْضِ وَنَحّى يَدَيْهِ عَنْ جَنْبَيْهِ. وَكَانَ يَضَعُ يَدَيْهِ حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ وَأُذُنَيْهِ ورفع مرفقيه. وَكَانَ يَعْتَدِلُ فِي سُجُودِهِ وَيَسْتَقْبِلُ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِ رِجْلَيْهِ الْقِبْلَةَ. وَكَانَ يَبْسُطُ كَفّيْهِ وَأَصَابِعَهُ وَلَا يُفَرّجُ بَيْنَهَا وَلَا يَقْبِضُهَا.

وَكَانَ يَقُولُ سُبْحَانَ رَبّيَ الْأَعْلَى. وَكَانَ يَقُولُ سُبْحَانَكَ اللّهُمّ رَبّنَا وَبِحَمْدِك اللّهُمّ اغْفِرْ لِي، وَكَانَ يَقُولُ سُبّوحٌ قُدّوسٌ رَبّ الْمَلَائِكَةِ وَالرّوحِ وَكَانَ يَقُولُ سُبْحَانَكَ اللّهُمّ وَبِحَمْدِك لَا إلَهَ إلّا أَنْت وَكَانَ يَقُولُ اللّهُمّ إنّي أَعُوذُ برضاك مِنْ سَخَطِك وَبِمُعَافَاتِك مِنْ عُقُوبَتِك وَأَعُوذُ بِك مِنْك لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْك أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْت عَلَى نَفْسِك وَكَانَ يَقُولُ

اللّهُمّ لَك سَجَدْت وَبِك آمَنْت وَلَك أَسْلَمْت سَجَدَ وَجْهِي لِلّذِي خَلَقَهُ وَصَوّرَهُ وَشَقّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ تَبَارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ.

[الْجُلُوسُ بَيْنَ السّجْدَتَيْنِ]: ثُمّ كَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ مُكَبّرًا غَيْرَ رَافِعٍ يَدَيْهِ وَيَرْفَعُ مِنْ السّجُودِ رَأْسَهُ قَبْلَ يَدَيْهِ ثُمّ يَجْلِسُ مُفْتَرِشًا يَفْرِشُ رِجْلَهُ الْيُسْرَى وَيَجْلِسُ عَلَيْهَا وَيَنْصِبُ الْيُمْنَى. ثُمّ كَانَ يَقُولُ بَيْنَ السّجْدَتَيْنِ: اللّهُمّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاجْبُرْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي ، وَكَانَ يَقُولُ رَبّ اغْفِرْ لِي رَبّ اغْفِرْ لِي وَكَانَ إذَا نَهَضَ افْتَتَحَ الْقِرَاءَةَ وَلَمْ يَسْكُتْ كَمَا كَانَ يَسْكُتُ عِنْدَ افْتِتَاحِ الصّلَاةِ

[التشهد في آخر الركعة الثانية]: كَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَتَشَهّدُ دَائِمًا فِي هَذِهِ الْجِلْسَةِ وَيُعَلّمُ أَصْحَابَهُ أَنْ يَقُولُوا : التّحِيّاتُ لِلّهِ وَالصّلَوَاتُ وَالطّيّبَاتُ السّلَامُ عَلَيْك أَيّهَا النّبِيّ وَرَحْمَةُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ السّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللّهِ الصّالِحِينَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَأَشْهَدُ أَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وَكَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُخَفّفُ هَذَا التّشَهّدَ جِدّا حَتّى كَأَنّهُ عَلَى الرّضْفِ – وَهِيَ الْحِجَارَةُ الْمُحْمَاةُ.

[القراءة في الركعتين الثالثة والرابعة]: كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ثُمّ كَانَ يَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ وَحْدَهَا وَلَمْ يَثْبُتْ عَنْهُ أَنّهُ قَرَأَ فِي الرّكْعَتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ شَيْئًا.

[مَوَاضِعُ الدّعَاءِ فِي الصّلَاةِ]:وَأَمّا الْمَوَاضِعُ الّتِي كَانَ يَدْعُو فِيهَا فِي الصّلَاةِ فَسَبْعَةُ مَوَاطِنَ أَحَدُهَا : بَعْدَ تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ فِي مَحَلّ الِاسْتِفْتَاحِ. الثّانِي : قَبْلَ الرّكُوعِ وَبَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ الْقِرَاءَةِ فِي الْوِتْرِ وَالْقُنُوتِ قَبْلَ الرّكُوعِ. الثّالِثُ بَعْدَ الِاعْتِدَالِ مِنْ الرّكُوعِ كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي « صَحِيحِ مُسْلِمٍ « مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى : كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ الرّكُوعِ قَالَ سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ اللّهُمّ رَبّنَا لَك الْحَمْدُ مِلْءَ السّمَوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ اللّهُمّ طَهّرْنِي بِالثّلْجِ وَالْبَرَدِ وَالْمَاءِ الْبَارِدِ اللّهُمّ طَهّرْنِي مِنْ الذّنُوبِ وَالْخَطَايَا كَمَا يُنَقّى الثّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنْ الْوَسَخِ الرّابِعُ فِي رُكُوعِهِ كَانَ يَقُولُ سُبْحَانَك اللّهُمّ رَبّنَا وَبِحَمْدِك اللّهُمّ اغْفِرْ لِي الْخَامِسُ فِي سُجُودِهِ وَكَانَ فِيهِ غَالِبُ دُعَائِهِ. السّادِسُ بَيْنَ السّجْدَتَيْنِ. السّابِعُ بَعْدَ التّشَهّدِ وَقَبْلَ السّلَامِ وَبِذَلِكَ أَمَرَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثِ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ وَأَمَرَ أَيْضًا بِالدّعَاءِ فِي السّجُودِ.

[الدعاء في السجود]: وَأَمَرَ بِالِاجْتِهَادِ فِي الدّعَاءِ فِي السّجُودِ وَقَالَ إنّهُ قَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ. وَكَانَ يَقُولُ اللّهُمّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلّهُ دِقّهُ وَجِلّهُ وَأَوّلَهُ وَآخِرَهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرّهُ وَكَانَ يَقُولُ اللّهُمّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنّي اللّهُمّ اغْفِرْ لِي جِدّي وَهَزْلِي وَخَطَئِي وَعَمْدِي وَكُلّ ذَلِكَ عِنْدِي اللّهُمّ اغْفِرْ لِي مَا قَدّمْتُ وَمَا أَخّرْت وَمَا أَسْرَرْت وَمَا أَعْلَنْت أَنْتَ إلَهِي لَا إلَهَ إلّا أَنْتَ، وَكَانَ يَقُولُ اللّهُمّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي سَمْعِي نُورًا وَفِي بَصَرِي نُورًا وَعَنْ يَمِينِي نُورًا وَعَنْ شِمَالِي نُورًا وَأَمَامِي نُورًا وَخَلْفِي نُورًا وَفَوْقِي نُورًا وَتَحْتِي نُورًا وَاجْعَلْ لِي نُورًا.

وَكَانَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ فَيَقُولُ اللّهُمّ إنّي أَعُوذُ بِك مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِك مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدّجّالِ وَأَعُوذُ بِك مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ اللّهُمّ إنّي أَعُوذُ بِك مِنْ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ. وَكَانَ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ أَيْضًا : اللّهُمّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي وَوَسّعْ لِي فِي دَارِي وَبَارِكْ لِي فِيمَا رَزَقْتَنِي وَكَانَ يَقُولُ اللّهُمّ إنّي أَسْأَلُك الثّبَاتَ فِي الْأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرّشْدِ وَأَسْأَلُك شُكْرَ نِعْمَتِك وَحُسْنَ عِبَادَتِك وَأَسْأَلُك قَلْبًا سَلِيمًا وَلِسَانًا صَادِقًا وَأَسْأَلُك مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ وَأَعُوذُ بِك مِنْ شَرّ مَا تَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُك لِمَا تَعْلَمُ وَكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ رَبّ أَعْطِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكّاهَا أَنْتَ وَلِيّهَا وَمَوْلَاهَا.

[في السنن الرواتب]: وهن، ركعتان قبل صلاة الصبح وأربع قبل صلاة الظهر وركعتان بعدها، وركعتان قبل صلاة العصر، وركعتان بعد كل من صلاتي المغرب والعشاء وركعات الوتر الثلاث آخراً. ومن السنن المؤكدة بينهن قال ابن عمر رضي الله عنهما: حَفِظْتُ مِنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَشْرَ رَكَعَاتٍ: رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظّهْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ فِي بَيْتِهِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ فِي بَيْتِهِ وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الصّبْحِ فَهَذِهِ لَمْ يَكُنْ يَدَعُهَا فِي الْحَضَرِ أَبَدًا ، وَكَانَ يُصَلّي عَامّةَ السّنَنِ فِي بَيْتِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ يُصَلّي فِي السّفَرِ مِنْ السّنَنِ إلّا سُنّتَيْ الْفَجْرِ وَالْوِتْرِ.

ومن صفات صلاته صلى الله عليه وسلم الاطمئنان بعد كل حركة في الصلاة، وكان يَقُولُ لَا تُجْزِئُ صَلَاةٌ لَا يُقِيمُ فِيهَا الرّجُلُ صُلْبَهُ فِي الرّكُوعِ وَالسّجُودِ، وعن الالتفات في الصلاة قال لعائشة: هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ. وفقنا الله للتأسي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما استطعنا.

---

* عن كتاب زاد المعاد للإمام ابن قيم الجوزية بتصرف.

أداء الصلاة وأثره في جلب الراحة

سماء الفارسي*

حدثنا مسدد حدثنا عيسى بن يوسف حدثنا مسعد بن كرام عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد قال مسعر ـ أظنه رجل من خزاعة: (ليتني صليت فاسترحت، فكأنهم عابوا عليه ذلك، فقال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول:)يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها. (معنى الحديث هنا أي نستريح بأدائها من شغل القلب بها، وقيل: كان اشتغال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالصلاة راحة له، فكان يعد غيرها من الأعمال الدنيوية تعبًا، فكان يستريح بالصلاة لما فيها من مناجاة الله ـ تعالى ـ ولهذا قال: (وجُعلت قُرّةُ عيني في الصلاة) وما أقرب الراحة من قرة العين. وهذا ما أثبتته هذه الدراسة التي بين أيدينا.

ففي دراسة مقدمة من جامعة (توماس جفرسون، فيلادلفي) تفيد أن ممارسة رياضة اليوجا الكلاسيكية لها أثر في تقليل مستويات هرمون الإجهاد أو ما يعرف باسم كورتيسول.

تم في هذه الدراسة إخضاع عينة من ١٦ شخصًا في صحة جيدة للدراسة مدة ٨ أيام.

ففي اليوم الأول تم قياس نسبة هرمون الكورتيسول لدى هؤلاء الأشخاص، ثم بعد ذلك ولمدة ٧ أيام تم قياس نسبة الهرمون قبل وبعد جلسة من اليوجا استمرت لمدة ٥٠ دقيقة. فكانت النتيجة أن ٤٢ منها من بين ٤٨ عينة أظهرت انخفاضًا في نسبة هرمون الكرتيسول في الدم بعد الجلسة، وكانت النسبة انخفاضًا أكثر عندما قورنت مع النتائج في اليوم الأول.

فهذه الدراسة تدعم الفكرة بأن ممارسة رياضة اليوجا تعمل على إحداث تغيرات في هرمون الأدرينالين في جسم الإنسان، حتى بين أولئك الذين لم يمارسوا تلك الرياضة من قبل، وهذا ما قاله الدكتور (برينارد) بروفيسور علم الأعصاب في كلية (توماس جفرسون) للطب والذي قام بدراسة مماثلة عام ١٩٩٤.

ما هي اليوجا؟

هي رياضة عمرها يزيد عن ٥٠٠٠ سنة، ظهرت في شبه القارة الهندية، وهي تعنى بالناحية الجسدية والروحية، وقد اجتذبت ما لا يقل عن ٢٠ مليون إنسان من جميع أنحاء أوروبا وأمريكا.

واليوجا مجموعة حركات يقوم بها المتدرب يبدأ بها من وضع الوقوف الهادئ، وإجلاء الأفكار من الرأس وتصفية الذهن لفترة زمنية، ثم الانتقال إلى حركة أخرى ببطء، والاستقرار على الحركة مدة زمنية دون حراك، والانتقال بعدها إلى الوضع الأول وهكذا...

ويقوم بها الناس لتحقيق هدف معين، إما للإبقاء على صحة الجسم عامة، أو الاستشفاء من أمراض معينة، أو لتصفية الذهن، أو موازنة الجهاز العصبي وغيرها.

من هذا يتبين وجه شبه في هذه الرياضة وبين إقامة الصلاة عند المسلمين على وجهها الصحيح، فحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقول(أرحنا بها يا بلال) يحدث في نفس المسلم أكثر مما تحدث عنه هذه الدراسة بشرط أداء الصلاة بشروطها الصحيحة وتحقيق الطمأنينة والخشوع، فنرى أن الحديث السابق له علاقة وطيدة بهذه الدراسة؛ حيث إن صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم فيها الطمأنينة والخشوع.

وفي حديث المسيء صلاتَه تأكيد لذلك، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد، فدخل رجل فصلى، ثم جاء فسلم على النبي عليه الصلاة والسلام فرد عليه النبي السلام، فقال صلى الله عليه وسلم: (ارجع فَصَل فإنك لم تُصَل)، فصلى، ثم جاء فسلم على النبي عليه الصلاة والسلام، فرد عليه السلام وقال: (ارجع فصل فإنك لم تصل) ثلاثًا فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره، فعلمني: قال صلى الله عليه وسلم:

(إذا قُمتَ إلى الصلاة فكبّر، ثم اقرأ ما تيسّر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم افعل ذلك في صلاتك كله) أخرجه البخاري.

فنلاحظ هنا أن كل حركة من حركات الصلاة تؤدَّى بطمأنينة وسكون، فالصلاة تجرد من الدنيا وارتقاء بالنفس إلى مناجاة الله تعالى.

فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يصلي بالركعة الواحدة بالسورة من الطوال من سورة البقرة إلى سورة التوبة ومن ثم يركع في طمأنينة ويطوّل ركوعه، ثم يستوي قائمًا ويدعو كذلك في طمأنينة وخشوع فترة من الزمن، ثم يسجد بطمأنينة ويطوّل في السجود فيكثر الدعاء فتطول مدة السجود.

وهكذا نرى أن ممارسة حركات رياضة اليوجا يشبه إلى حد كبير حركات الصلاة، وأن توجيه الأفكار والبعد عن مشاغل الدنيا تشبه إلى حد ما الخشوع في الصلاة، والذي يتفوق عليها بجعل المؤمن مناجيًا لربه وأنه واقف بين يديه فيجعله أكثر أمنًا وطمأنينة وسكونًا.

والبحث السابق الذي أجري على ممارسي رياضة اليوجا يمكن أن يكون دليلاً على الفائدة المرجوة من الصلاة الإسلامية لما بينهما من قدر مشترك من الحركات والتأمل.

وتحتاج الصلاة الخاشعة إلى مزيد من الأبحاث العلمية على المصلين، لبيان فائدتها الدنيوية في تحقيق الراحة الجسدية والنفسية لهم.

وأصل الخشوع: السكون والطمأنينة والانخفاض، وفي الشرع خشية من الله تكون في القلب، فتظهر آثارها على الجوارح.

وقد عَدَّ الله من صفات الذين أعد لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا في قوله في سورة الأحزاب:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ ثم ختم الآية بقوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وقد بيّن الله أن الصلاة صعبة وشاقة على غير الخاشعين، وأنها وسيلة هينة على الخاشعين فقال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

والخشوع خشوعان:

1- خشوع القلب بجمع الهمّة وحضور القلب، والتدبّر لما يجري على اللسان من القراءة والذكر، ولما تسمعه الأذن من قراءة إمامه.

2- وخشوع الجوارح بسكونها وعدم العبث والالتفات إلى غير مقصود الصلاة.

فمن أحسن في الموقف الذي بين يديه في الدنيا، بأن وقف خاشعًا، ذليلاً، مخلصًا، وَجِلاً، راغبًا راهبًا، متّبعًا لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم على أحسن حالة وهيئة. كما أمره الله، سهل عليه الموقف الثاني بين يدي الله للحساب، فكان عليه سهلاً يسيرًا، ومن أساء في هذا الموقف الذي في الدنيا في صلاته، ولم يُقمْها كما أمره الله، شُدّد عليه الموقف بين يدي الله للحساب، فكان عليه شَديدًا عسيرًا، وما ذلك إلا لأن الصلاة مع الخشوع تزكّي صاحبها، وتهذّب نفسه، وتنهاه عن الفحشاء والمنكر، وتأمره بالخلق الكريم.

كما بيّن ذلك الله تعالى ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فإنه لا يزداد بها من الله إلا بُعدًا، ذلك أن الخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرّغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها، فحينئذ تكون راحة له، وقرّة عين كما بيّن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (حُبِّبَ إليَّ الطيب والنساء، وجُعلت قرّة عيني في الصلاة) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لبلال: (يا بلال أرحنا بالصلاة).

ومن لوازم الخشوع في الصلاة الطمأنينة فيها وعدم العجلة والسرعة، ومن أجل هذا علّق الله سبحانه وتعالى الفلاح بخشوع المصلي في صلاته، ويستحيل حصول الخشوع مع العجلة والنقر في الصلاة، بل لا يحصل الخشوع إلا مع الطمأنينة، وكلما زاد المصلي طمأنينة زاد خشوعًا، وكلما قَلّ خشوعه اشتدت عجلته حتى تصير حركات بدنه بمنزلة العبث الذي لا يصحبه خشوع، ولا إقبال على العبادة، ولا معرفة لحقيقة العبودية.

وعلى المصلي حينئذ أن يتذكر وقوفه بين يدي الله تعالى يوم القيامة للحساب.

ومن ذلك عدم التفات القلب إلى الشواغل والهواجس بقدر المستطاع، وعدم التفات الوجه إلى اليمين أو الشمال، وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة. قال: (هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد).

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا يزال الله مقبلاً على العبد في صلاته ما لم يلتفت، فإذا التفت انصرف الله عنه).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (إذا صلى أحدكم فلا يلتفت، فإنه يناجي ربه، إن ربه أمامه، وإنه يناجيه، فلا يلتفت).

ولا تنس أيها المسلم ما في الركوع والسجود من تعظيم الله تعالى قولاً وفعلاً، كقولك في الركوع: سبحان ربي العظيم، وفي السجود: سبحان ربي الأعلى، فليكن قلبك مع لسانك، فتذكر الله بقلبك ولسانك وجوارحك، إذ تنحني لله تعالى في الركوع، وتضع أشرف أعضاء بدنك وهو الوجه على الأرض لله تعالى في السجود، فكن حاضر القلب في هذه الأعمال، فالله تعالى لا يقبل إلا من قلب مقبل منيب، لا من ساه لاه غافل، وفقنا الله لسلوك صراطه المستقيم، وثبتنا عليه حتى يأتينا اليقين، إنه على كلّ شيء قدير.

وبهذا يتحقق قوله تعالى:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾. إن الصلاة وخصوصًا صلاة قيام الليل التي تطول فيها فترة القيام والركوع والسجود والجلوس وما فيها من نقاء وصفاء ذهني في الليل الهادئ يتحقق بها فائدة أكثر من هذه الدراسة، فالمسلم يجد ذلك عندما يصحو صباحًا بعد قيام الليلة السابقة فيشعر بالراحة النفسية والبدنية وكله نشاط لاستقبال يوم جديد، فلا عجب في ذلك وقد انخفض مستوى هرمون الإجهاد في جسمه، وتخلص من جميع آثار التوتر وما أصابه في اليوم السابق من هموم الدنيا.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن محمدًا رسول الله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾..

فكيف علم النبي الأمي حقيقة هذه الراحة، ولم يعلم أحد في ذاك الزمان بوجود هرمون الإجهاد في جسم الإنسان؟

---

* وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.eajaz.org

المراجع:

1. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان كتاب الصلاة (١١ ١٦) باب رقم ٢٢٤ ص٨١.
2. عون المعبود شرح سنن أبي داود.
3. كتاب الإيضاح والتبيين لبعض صفات المؤمنين للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي.
4. صحيح البخاري.

الإعجاز العلمي في أعياد المسلمين

د. عبد الدائم الكحيل*

سبحان الله! حتى في مناسبة العيد هناك إعجاز، ليبقى المؤمن في حالة خشوع لله عز وجل وليكون ذلك دليلاً على صدق رسالة الإسلام....

للأسف الشديد نرى بعض الناس لا يقتنعون بالإعجاز العلمي، وينظرون إلى القرآن على أنه كتاب هداية فقط، بل نرى بعضهم يبالغون في انتقادهم لدعاة الإعجاز، ومنهم من يصف باحثي الإعجاز العلمي «بالتجّار» الذين يتاجرون بعواطف المسلمين... بل قال أحدهم: لم يبق سوى أن يخرجوا لنا بإعجاز جديد بمناسبة العيد!

بالفعل هناك بعض المبالغات في الإعجاز العلمي والعددي، ولكنها قليلة ولا تؤثر على هذا العلم الرائع. ولكن الإنسان عندما يبحث في معجزات القرآن يرى في كل شيء معجزة تتجلى لتقول لنا: «إن الإسلام هو الحق»، وهذا هو الهدف من الإعجاز العلمي. أن يثبُت المؤمن على الحق، وأن تكون المعجزة دليلاً على صدق رسالة الإسلام، وأظن أننا بحاجة لهذه المعجزات في عصر كهذا امتلأ بالإلحاد والتشكيك وضعف الإيمان.

والآن لنطرح السؤال التالي: هل يوجد إعجاز في أعيادٍ المسلمين التي شرعها الله لنا؟ وهل يمكن أن نجد دليلاً جديداً على صدق هذا النبي الأمي عليه الصلاة والسلام؟ هذا ما قمتُ به وكانت المفاجأة... لنقرأ.

عندما تنظر أخي القارئ إلى بقية الأمم من غير المسلمين وتتأمل في أعيادها، ماذا تجد؟ إنك تجد العيد لديهم مرتبط بولادة هذا القائد الروحي، أو بانتصار ذلك الزعيم على أعدائه أو بتحقيق مكاسب مادية أو نجاحات عسكرية أو سياسية... أي أن العيد مرتبط بأحداث بشرية.

بعض الشعوب لديها عيد مرتبط بموت زعيمها، وبعضهم اتخذ من زواج هذا الزعيم عيداً، ومنهم من جعل بعض الظواهر الكونية المخيفة عيداً لهم مثل كسوف الشمس أو غير ذلك مما يعتقدون أن هناك إلهاً للشمس وإلهاً للبرق وإلهاً للكواكب... وهذه معتقدات جاء الإسلام ليبطلها.

أما حديثاً فقد ظهرت مجموعة من الأعياد أهمها «عيد الأم» حيث خصصوا يوماً للأمهات كل عام، مع العلم أن الإسلام جعل الاهتمام بالأم على مدار السنة، وليس مرتبطاً بيومٍ محدد، ويكفي أن نقرأ قوله تعالى في حق الأبوين: ﴿*فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا*﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

هناك أعياد للاستقلال وأعياد للنصرٍ بمعركة ما وأعياد تخص يوم الثورة ... وغير ذلك مما ظهر حديثاً. ومن أسوأ الأعياد «عيد الحب» فهو مناسبة لممارسة العشق واللهو والفاحشة وتبذير الأموال... وهناك الكثير من المناسبات والأعياد كلها مرتبط بحدث بشري ما.

الآن لنتأمل عيد الفطر وعيد الأضحى، ما هي مناسبة هذين العيدين؟ العجيب يا أحبتي أنني بحثت عن تاريخ ولادة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم مبارك بلا شك، ولكنني لم أجد أن النبي طلب من أصحابه أن يحتفلوا فيه! وبحثت عن أيام انتصار النبي في معركة بدر تلك المعركة الحاسمة التي كانت بداية تأسيس الدولة الإسلامية، ووجدت أن النبي لم يأمر أصحابه بأن يتخذوا ذلك اليوم عيداً لهم.

هناك مناسبات كثيرة هامة مرَّ بها النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم أهمها، يوم الهجرة، ومع أنه يوم عظيم وهو بداية التاريخ الهجري إلا أن النبي لم يتخذه عيداً، وهناك يوم مهم ألا وهو يوم فتح مكة... ذلك النصر المبين الذي أعزّ الله به المسلمين وخذل الكافرين، ومع أنه يوم مبارك ومهم جداً إلا أن النبي لم يأمر قومه باتخاذه عيداً... سبحان الله، إذاً ما هي مناسبة العيد؟

إن العيد عند المسلمين يأتي بعد عبادة عظيمة لله الواحد عز وجل، ولكن كيف؟ أحبتي في الله، إن أركان الإسلام خمسة، فالمؤمن في كل لحظة يشهد بوحدانية الله، وهذا الركن الأول، ويقيم الصلاة كل يوم خمس مرات، وهذا الركن الثاني، ويؤدي الزكاة والصدقة في كل لحظة وعلى مدار العام وهذا هو الركن الثالث.

بقي ركنان مهمان ولكن المؤمن يؤديهما مرة في العام! فالركن الرابع من أركان الإسلام هو الصيام وقد فرضه الله علينا مرة كل سنة، وبما أن هذه العبادة عظيمة والله يعطي عليها من الأجر ما لا يعطيه على غيرها (إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به)، فقد ختم الله سبحانه وتعالى هذه العبادة بيوم العيد!!

لماذا؟ ليفرح المؤمن بفطره ويفرح بمغفرة الله لذنوبه ويفرح برحمة الله تعالى بعد شهر كامل من الصيام والقيام والطاعة... (وفي الحديث الشريف: للصائم فرحتان، فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه)... سبحان الله، انظروا إلى هذه المناسبة، مناسبة العيد، لم ترتبط بأي حدث بشري إنما ارتبطت بعبادة لله تعالى، وليس أي عبادة بل عبادة خاصة ومن أحب العبادات لله عز وجل.

بقي الركن الخامس من أركان الإسلام ألا وهو الحج، فهذه العبادة مهمة جداً وهي مفروضة على المستطيع مرة في العمر على الأقل، وتتكرر كل عام مرة ويخرج فيها المؤمن من الذنوب كيوم ولدته أمه، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) وهو عبادة خالصة لله تعالى.

وبسبب أهمية هذه العبادة فقد جعل الله عيد الأضحى في نهاية هذه العبادة، أي أن العيد يأتي بعد عبادة عظيمة وخالصة لله جل جلاله. بل إن تطبيق هذا العيد لم يرتبط بمعصية الله تعالى، بل بطاعته أيضاً، وهذا شيء رائع. فالعيد هو مناسبة للتراحم والتواصل وصلة الرحم وإدخال السرور على الأطفال والمحرومين واليتامى...

انظروا معي إلى زكاة الفطر مثلاً، إنها فريضة قبل العيد، لا يمكن أن يمر العيد هكذا، بل هناك أشخاص محتاجون وفقراء ذكّرك الله بهم، ينبغي أن تعطيهم مما أعطاك الله، وإلا فإن عبادتك ناقصة!! وهناك صلاة خاصة لا تؤدى إلا في العيدين وهي صلاة العيد... كأن الله تعالى يريد أن يربطك بالعبادة الخشوع في كل لحظة، حتى في لحظات الفرح والأعياد!

وهنا يا إخوتي لابد من وقفة تأمل: البشر شرعوا للناس أعياداً وجاءت كلها مرتبطة بأحداث بشرية وارتبطت باللهو والترف، ولكن عندما نجد أعياد المسلمين ارتبطت بعبادة لله تعالى وطاعته، ماذا يدل ذلك؟ إنه بلا شك يدل على أن مصدر هذه الأعياد هو مصدر إلهي!! بكلمة ثانية: يدل على أن الإسلام دين من عند الله تعالى!

وسؤالي الآن: بالله عليكم! هل هذا إعجاز أم ماذا؟ هل هناك إنسانٍ على وجه الأرض (من غير الأنبياء والمرسلين) سنَّ لقومه عيداً يأتي بعد عبادة عظيمة لله تعالى؟ هل يمكن للنبي صلى الله عليه وسلم، لو لم يكن رسولاً من عند الله، أن يشرّع لقومه مثل هذه العبادة؟

لماذا لم يجعل النبي من انتصاراته عيداً؟ لماذا لم يجعل من زواجه عيداً؟ لماذا لم يجعل من فتح مكة عيداً... بل إن أهم حدث في حياة النبي وهو النبوّة، عندما نزل عليه الوحي، حتى هذا اليوم لم يجعله عيداً... سبحان الله، لماذا؟ لأنه يريد أن يقول لنا: إن العيد مناسبة لجميع المسلمين وليست مناسبة تخص إنساناً واحداً حتى ولو كان أعظم الخلق على الإطلاق؟

لو فكرنا قليلاً بهذا العيد والمناسبة التي ارتبط بها لرأينا برهاناً واضحاً على صدق هذا النبي عليه الصلاة والسلام، وأنه لم يأت بشيء من عنده، بل هو كما وصفه ربه بهذه الكلمات الرائعة: ﴿*وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى*﴾ [النجم: ٣-٤]. فالحمد لله على نعمة الإسلام... وكل عام وأنتم بخير.

---

* وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.kaheel7.com

إلى الأحبة القراء

يسرّ مجلة «الإعجاز» تلقّي كل البحوث والمقالات الهادفة الى تنوير المجتمع وتثقيفه بصرف النظر عن هوية الكاتب، ومعتقده، وطائفته، وإنتمائه. ولا شرط لها إلا أن يتقيد بأصول البحث العلمي، والبعد عن التحريض، والنقد الهدام، وعن السياسة، وأن يكون هاجسه بعث الأمل في نفوس الناس لتخطي آثار الحرب وبناء المجتمع المتسامح.

عزيزي القارئ

ضع هذه المجلة في المكتب أوفي البيت واترك المجال لمن تحب لكي يطّلع عليها. ولا تهملها أو تخزنها باكرًا، فقد يكون لك فيها أجر تذكير الناس بالله عزّ وجلّ. قال تعالى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره.

التربية البيئيّة في الإسلام

جهاد خير الدين قرقوتي*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

مقدمة:

بدأت العلوم البيئية تدرس في الجامعات الغربية، في سبعينيات القرن الماضي ، ولم يظهر علم التربية البيئية إلا في تسعينيات القرن الماضي ، حيث بدأ الكلام عن إدراج التربية البيئية تدريجيا »في مناهج وزارات التربية لدى عدد من الدول .

عندها تذكرت بعض الآيات والأحاديث النبوية وأفعال الصحابة الكرام ، منذ حوالي ألف وأربعمائة عام، ولما قررت الكتابة عن التربية البيئية في الإسلام ، شعرت بالعزة والكرامة وإعجاز هذا الدين ، وشعرت أيضا» بالتقصير تجاه هذا الدين العظيم ، فهو بين أيدينا ولا نهتم به ، ولانقرأ عنه إلا اليسير بينما يبحث غيرنا قرونا» ليصل إلى ما هو في متناول أيدينا ، ونحن عطاش نتلمس العلوم المختلفة ونتذلل للحصول عليها من هنا وهناك .

إنّ الإسلام الذي ينظم ويحدد علاقة الإنسان بربه وعلاقة الإنسان بكافة مخلوقات الله إنما يحوي بين طيّاته المحافظة على البيئة والتي نعرفها على أنها جملة نظم وعلاقات طبيعيّة واجتماعية يحيى في ضمنها الإنسان وغيره من الكائنات الحيّة ويتفاعل معها إما سلباً أو إيجاباً .

إنّ الطريق الصحيح لبيئة سليمة إنما يكون بتطبيق التربية البيئيّة التي هي حركة دائمة يتمكن بفضلها الأفراد والجماعات من الوعي بمحيطهم ويكتسبون عبرها المعارف والكفاءات والتجارب وكذلك العزم والإرادة من أجل إيجاد حلول عمليّة لمشاكل البيئة الحالي منها ومن أجل مستقبل أفضل.

١- الإسلام والبيئة:

يحتوي الإسلام في مجمل تعاليمه على الإحتياجات الحقيقيّة والطبيعيّة للإنسان، وهذه التعاليم هي التي تؤهله وأكثر من أي وقت مضى، للعودة للعب دوره الطبيعي والطليعي في نمو الإنسان وتطوره.

ومع تقدم الحضارة الماديّة فإنّ إحتياجات الإنسان الإستهلاكيّة وإمكانياته أصبحت متفلتة ومعقّدة لدرجةٍ أنها تضّحي بإنسانيّة الإنسان وأخلاقيّاته.

ففي هذا المجتمع المادّي المعقد نحيت القيم الإنسانيّة جانباً حتى أن القيم الأخلاقيّة أصبح يُنظر إليها بازدراء إن لم نقل باستهزاء.

وفي أغلب دول العالم وشعوبها تتوجه البنية الأساسية للتربية والتعليم بإتجاه الكسب المادي الإقتصادي حتى أنّ بعض الصفوف وبعض الإختصاصات في الجامعات تغلق لأسباب إقتصادية تجاريّة، وذلك لعدم وجود العدد الكافي من الزبائن، حتى أنّ كلمة زبائن تستعمل في كافة المجالات وتلك كلمة ماديّة بحتة.

بينما تقوم النظرة الإسلامية للعالم بأجمله على العدالة والإنصاف حتى أنّ السموات والأرض إنما خلقت على هذه القاعدة وأن كل شيء محسوب وبدقة في هذا الكون. وإنّ أي تحوير لهذه القواعد العامة التي تحكم العالم ستؤدي بالضرورة إلى فوضى وإضطراب وإختلال التوازن في القوانين الطبيعيّة.

لقوله تعالى: ﴿***الرحمن*علم القرآن*خلق الإنسان*علمه البيان*الشمس والقمر بحسبان* والنجم والشجر يسجدان * والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تطغوا في الميزان * والأرض وضعها للأنام***﴾ (سورة الرحمن)

فالعوامل الطبيعية ليست حرة في تقرير وتقدير هذا التوازن وأن ردود الفعل لأي خلل طبيعي إنما هي لإعادة التوازن وإزاحة العوائق التي تقف بوجه هذا التطور، وأنّ أي خلل في أي مجال

علم البيئة حديث لكن الاسلام نبّه إليه منذ ١٤٠٠ سنة

إنما هو محكوم بردٍ وبشكل طبيعي لتصحيح المسار من الداخل أو حتى من الخارج إن لزم الأمر.

٢- الإنسان والبيئة:

قال إبن خلدون عالم الإجتماع الأندلسي ومنذ قرون عدة: «الإنسان إبن بيئته»، فمن غير المعقول ألا تؤثر بيئه الإنسان الطبيعية والجغرافية على حركته وروحه. إنّ الروحانيات الإنسانية التي تنمو وتزدهر في مناطق حارة وصحراوية ذي الكثبان الرملية، لا يمكن أن تكون نفسها في مناطق ساحلية رطبة أو في غابات كثيفة، فلا شك بأن الطقس الحار والمياه المالحة والمناطق الجبلية لا يمكن أن يكون لها التأثير ذاته على الإنسان في المناطق الباردة، والمياه العذبة والسهول والمستنقعات، فكما أن هذه العوامل الطبيعية الفيزيائية للناس تختلف بإختلاف المناطق فإنّ التفاعل والردود تختلف.

إنّ العوامل التاريخية والمناخ الإجتماعي والعلاقاتٍ الإقتصادية والظروف الإجتماعية كلها تلعب دوراً أساسياً في توجيه الإنسان وحركته ورؤيته ونمط حياته حتى أنها تقف بعض الأحيان حائلاً أمام طريق حرية الإنسان وقدرته على الإختيار.

إنّ الإنسان بحاجة للتوجيه والتغيير أمام بعض غرائزه الجامحة وكما أن العوامل الطبيعية والظروف البيئية تحددٍ له إختياراته ونمط معيشته فعليه بالتالي أن يعمل جاهداً لتحسين محيطه.

إنّ القواعد والأسس الرئيسية التي يعتمد عليها الإنسان من أجل هذا التحسين والتغيير للأفضل، إنما تشكل أهم مواضيع الإرادة والإختيار الإنساني.

هذه المثل العليا إنما هي قيم عليا نضحي من أجلها، فإن أردت فعلاً أن تجد إنساناً وبكل معنى الكلمة فعليك أن تفتش عن شخص عقائدي يتحلى بقيم تتعدى النظرة الشكلية والجسديّة.

والإسلام يحدد هذه القيم التي هي من عند الله والمسلم يسعى جاهداً للوصول لها والعمل بها مرضاة لله.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة – أو بضع وستون شعبة – فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الأيمان**» **متفق عليه وقال أيضا: «التبسم في وجه أخيك صدقة.»**

المحافظة على البيئة تحتاج إلى اعداد وتربية

لقد حث الإسلام على فعل كل ما ينفع الناس وما يبعد عنهم الضرر كما أكد حرصه أيضاً على المرافق العامة ونظافتها والعناية بها، وأكد الإسلام على القاعدة الشرعية الأساسية بأنه «**لا ضرر ولا ضرار**».

والإنسان هو العامل الأساسي لأي بناء بيئي، وهو الذي أكرمه الله فأحسن صنعه وميّزه عن باقي المخلوقات، هذا الأنسان هو الكنز الحقيقي الذي يتغافل عنه الكثيرون. المهم أن نهتم ببناء البشر وليس الحجر، كما أنّ إعتماد الثقافة البيئية أثناء هذا البناء كفيل بإيصالنا إلى بداية الطريق الصحيح نحو بيئة إنسانية سليمة. إنّ هذه الثقافة البيئية لا تتطلب زيادة نفقات على ما يسمى بوزارة البيئه وإنما يجب أن تتركز على الإنسان وعودته لدينه وفطرته السليمة، وليس بإضطهاده كما هو حاصل في الماضي والحاضر.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي يأم الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وأولادها وهي مسؤولة عنهم وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.**»

إنّ التغيير في الظواهر الطبيعية، محكوم بقوانين وأسباب وعوامل، وأنّ الطبيعة محددة ومرسومة ضمن خطوط معينة. وبالنسبة للمجتمع فإنّ الإسلام يؤكد على النظم الإجتماعية وأسباب أي تغيير إجتماعي، فيتكلم عن الأمم صعودها وإندثارها، قوتها وضعفها، تماسكها وهزالتها، ويتحدث عن أسباب ونتائج ذلك–وأنّ الأحداث التاريخية ليست وليدة الصدفة وأنّ كل شيء في الطبيعة والمجتمع إنما يخضع لقوانين ونظم.

لا مكان لمراقبة النفس في الحضارة المادية

إنَّ طبيعة الإنسان المادية والروحية تؤدي به في مراحل حياته إلى إنحناءات وإضطرابات نفسية وهو مسؤول عن توجيه نفسه وضبط رغباتها، وإذا تملكته الأنانية وحب السلطة، فإنه يسعى لتحقيق رغباته وغاياته وبكل الطرق الغير أخلاقية. إنَّ ذلك يقضي على المجتمع ويسممه، وإنَّ الأفكار والعادات السيئة والألهة القديمة والحديثة وطواغيت العصر القديم والعصر الحديث إنما يسعون جاهدين لإعتقال كل فكر صحيح يؤدي بصاحبه ومعتنقيه إلى طريق الصواب، وذلك من أجل إستغلال البشر وإستعمالهم لمصالحهم ولبناء الحجر لهم ولحاشيتهم.

إنَّ أسوأ الإستغلال إنما هو إستعمال الإنسان لغايات أنانية بسيطة، وكم من الدماء والبكاء أريق بسبب هؤلاء الناس وحبهم للسلطة والكراسي. لقوله تعالى: ﴿ *... ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً* ﴾ سورة النساء

وإنَّ الفساد وأعمال هؤلاء إنما هي السبب الرئيسي لأي تغييرات تاريخية مدمرة. إنَّ إرهاب الشعوب وقهرها، هو من أخطر مظاهر الإرهاب البيئي وأكثرها سلبية على البيئة. والحروب هي من أهم مظاهر الفساد وتخريب البيئة.

٣- الحكم والبيئة:

والحكم السليم القويم والعادل هو الذي يسود بالأمن والطمأنينة والرخاء هذا ما يعلمه الإسلام للأمة المنتصرة، لا تزهوا بنصرها ولا تعتدي وإنما تمنع البغي والفساد، ولتحل الحق **كما ورد في قوله تعالى: ﴿ *الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور* ﴾ سورة الحج

هذه الرحمة التي نقلها النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه قولاً وفعلاً، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه صاحب وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوصي جيش أسامة بن زيد رضي الله عنهم ويقول: «**لا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً، ولا إمرأة ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له.**».

للبيئة السليمة مفعول ايجابي عل الانسان

وعلى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في تسامحه الديني والإنساني، نجدٍ عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين يدخل القدس فاتحاً، وتحين صلاة العصر وهو في داخل كنيسة القدس الكبرى فيأبى أن يصلي فيها كي لا يتخذها المسلمون من بعد ذريعة للمطالبة بها وإتخاذها مسجداً.

عمر رضي الله عنه الذي قطع الشجرة في مكان بيعة الشجرة، لأن الناس بدأوا بتقديس تلك الشجرة، هو ذاته الذي يخاف أن يحاسبه ربه على ناقة عثرت بأرض العراق، ويسأله عنها ربه لما لم تعبد لها الطريق يا عمر.

٤- استصدار التشريعات وتنوير سبل الحياة:

ثم ظهرت في العصور التالية التعاليم التطبيقية للإسلام وإهتمامه ببيئة الإنسان ومحيطه واستصدار أعظم التشريعات، فمن بناء المؤسسات الخيرية والمدارس والمستشفيات، وبناء الخانات والزوايا للعبادة وللفقراء والمسافرين، والسبيل لمنع العطش، والمؤسسات الإجتماعية، والتكافل الإجتماعي بإنشاء مؤسسات اليتامى واللقطاء والعجزة والعميان وتزويدهم بكل ما يحتاجون إليه من سكن وغذاء ولباس وتعليم، ومن إمداد الأمهات بالحليب والسكر مثل مبرات صلاح الدين في دمشق. ولم ينس الإسلام في خضم المسؤوليات العظيمة، رحمته بالحيوان ومنع تحميل الدواب فوق ما تطيق، وإقامة دور عجزة للحيوان وأوقافاً لتطبيبها ورعايتها.

إنَّ الإسلام وبتقدمه المتوازن في كل الإتجاهات والمناطق وممارساته الإنسانية، جعل الأيدي مفتوحة لإستقبال هذا الفاتح الإنسان الذي إنتظروه طويلاً، بعد أن كاد اليأس يغلب عليهم، حتى أن المدن أخذت تفتح أبوابها وحصونها وقبل مدة من وصول جيوش الإسلام، فهي جيوش رحمة وليست جيوش إحتلال. وإنَّ ما فُرض على المسلم من زكاة وغيره أشد مما كان يفرض

عتبة الايمان اماطة الاذى عن الطريق

على غير المسلم من أهل الكتاب، حتى أن بعض المدافعين عن المدن كانوا ينضمون للقتال إلى جانب المسلمين في وجه الحكام السابقين الجائرين.

إنَّ هذا التقدم الإنساني نحو هذه الشعوب لم يؤد إلى دمارها، وإنما أدى إلى تغيير وإستبدال النظم الجائرة بنظام عادل وإلى تبديل عبادة الحجر والبشر بعبادة الواحد الأحد. إنَّ الإسلام جاء للبناء والتحسين وليس العكس كما يشيعه المفترون.

المحافظة على الآثار: لقد قام الإسلام بدور هام بالحفاظ على الثقافات والحضارات القديمة من إغريقية وفرعونية وبلاد ما بين النهرين وفارسية وهندية، وحتى أنه كان يشجع على معرفة فكر الأخرين والتحقيق والتمحيص بكتبهم، فالمعرفة إنما هي إستكمال ما وصل إليه الآخرون ومتابعة الطريق، وقد شجع المسلمون أيضاً على دراسة التاريخ وحركته وشعوبه والسفر للبلاد البعيدة لجمع كل ما هو خير للناس، وشجع على ترجمة الكتب من اللغات القديمة فكانت مراكز المعرفة وخاصة في دمشق وبعدها في بغداد، كخلايا النحل دائمة الحركة في سبيل المعرفة وتقدم ورفاهية الإنسان في كل مكان. ورغم الأخطاء وبعض الممارسات في الحكم التي تتنافى مع قواعد الإسلام فإنه ينبغي علينا أن لا ننسى فضل الخلافة الإسلامية من أموية وعباسية وعثمانية وخلال إثنى عشر قرناً على الحضارة الإسلامية وعلى العالم أجمع.

٥- أثر التوجيه الديني على البيئة:

إنَّ الإنسان المسلم بنَّاءٌ بطبيعته، إنه يبني نفسه وبيته ومسجده وبيئته، وإنَّ نجاحه في بناء بيئته إنما يعتمد على نجاحه في بناء نفسه والعكس صحيح، وبمعنى آخر فإنَّ نجاحه في تحسين بيئته إنما يجعله على طريق تحسين ظرفه ووضعه. إنَّ هذه العلاقة بين الإنسان وبيئته تجعله شديد الإنتباه والتيقظ لتحسين وضعه العام وعلى كل المستويات. مما دفعه إلى تأسيس قواعد مهمة في مجالات النظافة والمأكل والملبس والمشرب ومجالات الصحة البدنية والعقلية... إلخ.

الحاكم يوجه ويحاسب للمحافظة على البيئة

وقد إعتبر الإسلام أنَّ الطهارة والنظافة هدف إيماني، لقوله تعالى:

تنمية الشعور بالمسؤولية طريق الى البيئة السليمة

﴿ *... ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون* ﴾ سورة المائدة

وكذلك قوله جلّ وعلا:

﴿ *.... إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين* ﴾ سورة البقرة

وحض أتباعه على طهارة ثيابهم وجسدهم وأسنانهم ومياه الشرب والمياه المستعملة لحاجاتهم وأماكن إقامتهم وشوارعهم وأحيائهم العامة وغذائهم. وعدم هدر المواد الغذائية برميها في الزبالة وعدم الإسراف في الأكل لأنٍ ذلك ليس فقط ضد القواعد والنظم الإقتصادية بل أيضاً بسبب ضرره الصحي الذي يعود على المستهلك نفسه، وليس من العدل أن يهدر الناس الغذاء ويأكلونه بإسراف، في الوقت الذي يموت فيه آخرون من الجوع.

لقوله تعالى: ﴿ *يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين* ﴾ سورة الاعراف

« إنَّ النمو الصحي الكامل للإنسان بحاجة لغذاء صحي وعلاج صحي وإلى جو ومناخ صحي خال من التلوث وكل ما يشيع الأمراض.

إنَّ الصلوات المفروضة الخمس وما يتعلق بها من طهارة الجسد والثياب والمكان والإتجاه للقبلة في الصلاة وصوم رمضان، ينمي لدى الإنسان معنى المسؤولية تجاه نفسه وغيره وينمي إرادته التي تعطيه القدرة والقاعدة الصلبة لتنظيم وترتيب حياته.

إنَّ الإسلام يرفض وبشكل قطعي الأنانية وذلك الشعور الإصطناعي المادي، وهو يريد منا أن نحب لغيرنا ما نحب لأنفسنا، وأن نعامل غيرنا كما نحب أن يعاملونا، وأن نساوي بين الناس فالناس سواسية في الحق والعدالة الإنسانية وقال رسول الله : «**الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله**». وقول عمر رضي الله عنه: «**متى إستعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً.**»

ومن أجل بيئة سليمة وعلاقة إنسانية جيدة فقد نظم الإسلام هذه العلاقة بين الجيران من الناحيتين الأخلاقية و المادية حتى أن سيدنا جبريل عليه السلام أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بالجار

لأن المشاكل بين الجيران يجب أن تعالج بالتراضي بعيدًا عن المقاضاة في المحاكم وهذا أفضل في تسوية مشاكلهم ولكي يستطيعوا الإستمرار في العيش معاً وبهناء وبمسؤولية كما قال صلى الله عليه وسلم: « **ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**» متفق عليه.

وقال أيضاً: «**والله لايؤمن، والله لايؤمن، والله لايؤمن ! قيل من يا رسول الله؟ قال: الذي لايأمن جاره بوائقه**! متفق عليه. اذ ان الناس شركاء في الجوار والشارع والمحلّة وهي البيئة المحيطة مباشرة بالمسلم وجيرانه.

ومن تحسين شروط البيئة الاهتمام باللباس والأكل فالمطلوب عدم الإفراط في شيء، فلا تفريط ولا إفراط، وعدم إعلاء الصوت عند التحدث وإحترام الزوار ومعاملتهم بإحترام ومحبة، وإفشاء السلام بين الناس فإن ذلك يولد المحبة بين النفوس ومساهمة المسلم في خدمة بيته وأهله فهذا تواضع منه وتقرب إلى أهله ويزيد من المحبة والألفة وينمي التعاون في أهل بيته، وأن تكون حياته بسيطة وغير معقدة بعيدة عن الرسميات والتكاليف والتشريفات وأن يكون دائم الإبتسام، فالإبتسام بوجه أخيك صدقة. وأن يحترم الصغير منا الكبير ويطيعه وأن يحب كبيرنا صغيرنا ويحميه وينصحه. ومن أهم السلوك الإجتماعي الإسلامي وبلا شك ألا وهو الضيافة، وقد إشتهر المسلمون بذلك وكان لديهم دورٌ عامة للضيافة وخاصةً لعابر السبيل ولم يخلو بيت من جناح مخصص للضيافة وإكرام الضيف بالمأكل والمشرب ومساعدته على تأمين حاجته.

إنَّ هذه المودة والتراحم بين الناس تزيد من محبتهم لبعضهم وتشد أواصر الأخوة وتزيد من دائرة الأصدقاء، فإنَّ تضحياتنا المادية ما هي إلا تقاسم بيننا، فنحن كلنا عبرة سبيل وما الحياة الدنيا إلا كشخص وقف يستريح تحت فيّ شجرة، ليعاود بعد ذلك المسير.

إن أعمالاً كدور للإنتاج وتقديم الغذاء والملبس للمحتاج مهمة جداً، لكن ما نحن بحاجة إليه أكثر هو تأمين الرعاية والعلم والعمل لهؤلاء لكي لا يستعطوا أحداً، ونحن إذا إكتفينا فقط بتأمين الغذاء والملبس لهم فإننا نساعد في إضعاف نفوسهم وجعلهم فئة منفصلة عن هذا المجتمع، فئة تكره بيئتها ومجتمعها وتسعى إلى هدمه والإنتقام منه في أول فرصة تسنح لها، فما علينا إلا أن نأخذ بأيديهم لكي يذوبوا معنا ونذوب معهم، فإن ظلمهم البعض وإذا قُدرٌ لهم ظرف صعب فعلينا، أن نعمل على إخراجهم من ذلك الظلم لتأمين فرص الحياة الكريمة لهم، ولذلك تبدو النشاطات التعاونية في كل الإتجاهات مهمة جداً على مستوى الجمعيات الأهلية.

علم البيئة يتطور والتشريعات يجب ان تطور

إنَّ المبدأ العام في الإسلام لا ضرر ولا ضرار، وحسب القوانين الإقتصادية الإسلامية فإن كل الخيرات من أرضٍ وماء وفضاء هي للجميع ولا ينبغي أن تكون ملكاً خاصاً لأحد، ومن وجهة النظر الإسلامية فإنَّ الثروات ليست وافرة وغزيرة، وإنَّ الحصول عليها ليس سهلاً،

وإنَّ إستخدام هذه الثروات الطبيعية وبشكل مدروس وللإبقاء عليها لمن يأتي بعدنا والأقتصاد فيها أمر ضروري جداً ومطلوب شرعاً لأنه بمثابة الدم في عروق الأمة .

إنَّ التعاليم الإسلامية تؤكد على مسؤولية الفرد في تكوين البيئة والحفاظ عليها، كما تؤكد على تأثير البيئة على الإنسان وعلى تكوين أفكاره وأخلاقياته، وأنَّ خياراته محدودة لأن أقدار الناس متعلقة بعضهم ببعض.

عندما يطلب المسلم من الله قائلاً: «**إهدنا وليس إهدني، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وليس السلام علي وعلى عباد الله الصالحين**»، إذن فهو دين جماعي وليس فردي وإنَّ المسؤولية الفردية جزء من المسؤولية الجماعية.

خاتمة:

إنَّ الطمأنينة وسعادة النفس إنما تحصلان بإنتصار الإنسان على نفسه وعلى هواه أي بإنتصارها على الأنا . وإنَّ إنقياد الإنسان وإذعانه للقيم المادية وإهماله القيم الأخلاقية إنما يقوده نحو التعاسة ويغرقه في مستنقع الوحشية ويجعل محيطه وبيئته كغابة كثيفة لا يرى فيها حتى نفسه ولا أخاه ويعيش فيها متخبطاً ذات اليمين وذات الشمال. إنَّ الإكتشافات العلمية والإبتكارات والتطور الصناعي والتقنيات

البيئة مناخ صحي واجتماعي

الحديثة وبدلاً من أن تحسن وضع الإنسان وبيئته إنما قامت بإزدراء الإنسان وإنسانيته وقوت أنانيته وساهمت إلى حد بعيد في دمار الأمم والقضاء على مواردها. إنَّ جشع الدول الغنية والكبيرة وإستمرارها في هدر الموارد بهدف السيطرة والهيمنة على العالم إنما تدمر نفسها والعالم بأسره وإن سيطرة العقلية المادية على الأخلاقيات وعدم التوازن بين القيم المادية والأخلاقية ستكون من نتائجها حدوث كوارث لا حدود لها والحل يكمن بهذا التوازن والشعور بالمسؤولية وأهمية إستمرار النسل البشري وإنسانية الإنسان.وأقولها بقناعة أن أمة الإسلام وبما فضَّلها الله على غيرها من الأمم وعلى أنها أمة وسطية إنما هي الوحيدة القادرة على لعب الدور المميز في الحاضر والمستقبل كما في الماضي بالحفاظ على الإنسان وبيئته وذلك بالتوازن بين المادة والقيم الأخلاقية والشعور بالمسؤولية الكونية، توازن لا ينافي التطور ولا يلغي العلم بل يشجع عليه ويوجهه لما فيه خير الإنسان والبشرية بكافة أجناسها وقومياتها وأديانها وألوانها ولغاتها. ولكن ...هل يقبلون بالحق وكلمته؟ وهل يوقفون نحر الأرض ومن عليها؟ وهل يتركون من هو أهل لذلك ويطلقون يديه؟ أم أنّ تعصبهم الأعمى وعنصريتهم تمنعهم من ذلك..!

إنّ الإسلام يدعو الإنسان بالمبادرة للحركة نحو الأفضل وهو لا يجبره على ذلك فله إختياره ولو كان مسيّراً ومن دون إرادة فأين مبادرة ذلك الإنسان وإرادته ولما الحساب على ما فعل إذن؟

وقد وجد أن عليه المسير في هذه الرحلة، رحلة الحياة مستعيناً بالله وبتعاليمه شاداً بها أزره متوكلاً على الله عاملاً بكل جهد ممكن للوصول إلى بر الأمان ذاكراً قول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم: «**أعقلها وتوكل**.

هذا الإنسان مليء بالتناقضات، فهو في غرائزه المادية إنما يدفع بإنسانيته نحو الأسفل، وفي أخلاقياته فإنه يدفع بها إلى الأعلى. إنَّ إمتلاك الإنسان للمعرفة، يجعله يستفيد من هذه التناقضات بحيث يستخدمها في مكانها المناسب، وهو بمجهوده الدؤوب فإنه يعمل مسيطراً على عواطفه وأحاسيسه ويوظفها لما فيه خيره وتطوره وتحسن بيئته وإنسانيته.

إنَّ الإسلام بحبه للخير وكرهه للشر إنما يشدد على رفضه لكل أنواع التلوث الضار في الطبيعة والفكر والمجتمع، وقد شدد على الأخوة الإسلامية كأساس لثبات نظام الدولة والعدالة، هذا التأسيس الروحي للعلاقة الإنسانية يلعب دوراً أساسياً في الحفاظ على حقوق الأفراد وحماية مصالحهم الإجتماعية.إنَّ الوقاية من الأضرار غير ممكنة من غير النقد الذاتي المستمر الذي يؤدي إلى صحوة للنفس والضمير الحر.

---

* باحث في التربية والعلوم البيئية.

" الإعجاز "

دينية علمية غير سياسية.

تبحث في إعجازَيْ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

يساهم في إعدادها باحثون ومفكرون لبنانيون.

لا تتوخى الربح والاشتراك فيها مجاني.

ما على الراغبين بالحصول على نسخة منها سوى مراجعة مركز المنتدى وتزويده باسم الشخص أو المؤسسة مع ذكر العنوان ورقم الهاتف. اشترك مجاناً في مجلة الإعجاز تصل إلى عنوانك.

إعجاز وصف الظل والظلال في القرآن الكريم

أ.د. يحيى وزيري*

الظلال هى أحدى النعم التى منّ بها الله سبحانه وتعالى على عباده، والظل في اللغة نقيض الضح (بالكسر) أو هو الفيئ، أو هو بالغداة والفيئ بالعشي، ومكان ظليل ذو ظل، والظلة شيء كالصفة يستتر به من الحر والبرد.

الدلالات العلمية لآيات «الظل والظلال» فى القرآن الكريم:

تحدث القرآن الكريم عن «الظل والظلال» فى العديد من الآيات القرآنية فى سور مختلفة، وفيما يلى حصر لأهم هذه الآيات مع تصنيفها من الناحية الموضوعية، وذكر تفسير مختصر لكل آية:

أ- **التنبيه الى الفرق بين الظل والحرور:**

يقول سبحانه وتعالى: ﴿*وما يستوي الأعمى ولا البصير، ولا الظلمات والنور، ولا الظل ولا الحرور*﴾ (فاطر: من ١٩ إلى ٢١).

إن الآية الكريمة تؤكد وتنبه على حقيقة يلمسها جميع البشر حيث يشعرون بالفرق الكبير بين الأماكن المظللة والأماكن المعرضة مباشرة للشمس وما ينتج عن ذلك من حر شديد.

ب- وصف أسلوب حركة الظلال: * ذكر حركتى الظل اجمالاً:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿*ولله يسجد من فى السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال*﴾ (الرعد:١٥)، يقول الإمام القرطبى في تفسير هذه الآية الكريمة: «ظلال الخلق ساجدة لله تعالى بالغدو والآصال لأنها تبين في هذين الوقتين، وتميل من ناحية إلى ناحية، وذلك تصريف الله إياها على مايشاء، وهو كقوله تعالى: ﴿*أولم يروا إلى ماخلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون*﴾ (النحل:٤٨)، والسجود بمعنى الميل فسجود الظلال ميلها من جانب إلى جانب».

فهذه الآية الكريمة قد نبهت الى حركتى الظل اجمالاً، حيث ركزت على وقتى الغدو والآصال لأنها تبين فى هذين الوقتين، فالحركة الأولى للظل هى حركة الانتقال من جهة الغرب الى جهة الشرق، والحركة الثانية هى حركة الظل بالامتداد والانقباض، وهاتان الحركتان متلازمتان ومتزامنتان فى نفس الوقت.

ج- الظل ليس كله واحدا: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿*والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم، كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون*﴾ (النحل:٨١)، ورد فى التفسير الميسر مايلى: «والله جعل لكم ما تستظلون به من الأشجار، وجعل لكم فى الجبال من المغارات والكهوف أماكن تلجأون اليها عند الحاجة...».

ان ذكر كلمة «**ظلالا**» بصيغة الجمع وليس «ظلا» بالافراد، فيه تنبيه الى أن الظل الذى نراه بأعيننا ليس كله واحدا فى التأثير، وهذا من اعجاز القرآن الكريم.

د- ذكر نماذج محددة لأنواع الظلال : من اعجاز وسبق القرآن الكريم أن يذكر نماذج واضحة ومحددة لأنواع الظل، وهو ماسوف نوضحه فيما يلى:

١- **الظل النافع (ظل الرحمة):** أورد القرآن الكريم العديد من نماذج الظل النافع (ظل الرحمة)، نفصلها فيما يلى:

* ظل الغمام (السحاب الأبيض): يقول سبحانه وتعالى: «وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى، كلوا من طيبات مارزقناكم وماظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» (الأعراف:١٦٠)، أورد الامام القرطبى فى تفسيره مايلى: «.. أي جعلناه عليكم كالظلة والغمام جمع غمامة، كسحابة وسحاب.

* الظل الظليل: يقول سبحانه وتعالى: «والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا، لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا» (النساء: ٥٧)، ولقد أورد الامام ابن كثير فى تفسيره مايلى: «.. وقوله: ﴿*وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا*﴾ أي: ظلاً عميقا كثيراً غزيراً طيباً أنيقا، قال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الرحمن، وحدثنا ابن المثنى، حدثنا ابن جعفر، قالا: حدثنا شعبة، قال: سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها: شجرة الخلد».

* ذكر الظل الممدود مقترنا بالماء المسكوب: يقول سبحانه وتعالى: ﴿*وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب*﴾ (الواقعة:٢٧-٣١)، ورد فى التفسير الميسر: «وأصحاب اليمين ما أعظم مكانتهم وجزاءهم، هم فى سدر لا شوك فيه وموز متراكب بعضه على بعض، وظل دائم لايزول وماء جار لاينقطع..».

ان الآيات الكريمة تعطينا نموذجًا هامًا للظل النافع وهو الظل الدائم، مقترنًا بالماء الجار المسكوب والذى يساهم مع الظل فى تخفيف درجة الحرارة.

٢- **الظل الضار (ظل العذاب):** أورد القرآن الكريم العديد من نماذج الظل الضار (ظل العذابة)، نفصلها فيما يلى:

* ظل الدخان الأسود: يقول سبحانه وتعالى: ﴿*وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ، لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ*﴾ (الواقعة:٤٣، ٤٤)، ورد فى كتاب «جامع البيان في تفسير القرآن» للإمام الطبري: «...فعن ابن عباس ومنصور عن مجاهد «وَظِلّ مِنْ يَحْمُوم»، قالا: دخان، وحدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿*وَظِلّ مِنْ يَحْمُوم*﴾ كنا نحدَّث أنها ظل الدخان، وقال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿*وَظِلّ مِنْ يَحْمُوم*﴾ قال: ظلّ الدخان دخان جهَنم، وقوله:»لا بارد ولا كريم»، يقول تعالى ذكره: ليس ذلك الظل ببارد، كبرد ظلال سائر الأشياء، ولكنه حارّ، لأنه دخان من سعير جهنم، وليس بكريم لأنهم مؤلم من استظل به.

شمولية ودقة الوصف القرآنى للظل والظلال:

من جوانب اعجاز القرآن الكريم أن يتحدث عن الظل والظلال بوصفها أحد الظواهر الطبيعية، التى ترتبط أساسًا بحركة الشمس الظاهرية، بأسلوب يتسم بالشمولية وبدقة الوصف الذى لا يتنافى مع الحقائق العلمية التى تم التأكد منها فى العصر الحديث، حيث أشارت الآيات القرآنية الى ما يلى:

أ- التنبيه الى الفرق بين الظل والحرور.

ب- الوصف الدقيق لأسلوب حركة الظلال اجمالا وتفصيلا.

ج- التنبيه الى أن الظل ليس كله واحدا.

د- ذكر نماذج محددة لكل من نوعى الظل النافع (ظل الرحمة) والظل الضار (ظل العذاب).

الاعجاز فى ذكر نماذج محددة للظل النافع والظل الضار:

نظرًا لأهمية الظلال بالنسبة لتوفير جو مريح بالنسبة للبشر خاصة في المناطق الحارة، فلقد نبهت العديد من الآيات إلى العديد من الأمثلة والنماذج لما يمكن ان نسميه «بالظل النافع»، ومنها الظلال الناتجة عن الغمام (السحب البيضاء) كما في قوله تعالى: ﴿*وظللنا عليهم الغمام*﴾ (الأعراف: من الآية ١٦٠).

وفى بعض الآيات القرآنية ورد ذكر الظل الممدود مقرونًا بالماء المسكوب، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿*وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب*﴾ (الواقعة: من٢٧ الى ٣١)، ان استخدام الماء لترطيب الهواء بالإضافة إلى عملية التظليل، يؤدى إلى زيادة خفض درجة حرارة الهواء مما يؤدي إلى زيادة الشعور بالراحة الحرارية خاصة في المناطق الحارة الجافة مثل منطقة الجزيرة العربية، والتي كانت مهبطاً للوحي القرآني.

ذكر الظل الظليل

أوضحت احدى الآيات القرآنية أن «الظل الظليل» هو إحدى المتع التي أعدها الله سبحانه وتعالى لأهل الجنة، مصداقا لقوله تعالى: ﴿*والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا، لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا*﴾ (النساء:٥٧)، وهو الظل المتراكب فوق بعضه بعضًا ومثاله فى الطبيعة ظل ورق الأشجار الذى يظلل بعضه بعضًا. لقد أوضحت القياسات العلمية الحديثة أن أفضل شيء لتقليل درجة الحرارة داخل الفراغات المبنية، يكون عن طريق تظليل الأسقف العلوية للمبانى، بمعنى وجود سقف يظلل السقف الأصلي للمبنى، وهو أحد نماذج الظل الظليل، حيث يعمل السقف الخارجي (العلوي) على تظليل سقف المبنى الأصلي من الاشعاع الشمسي المباشر، وخفض الانتقال الحراري للفراغات (المعمارية).

ذكر ظل الدخان الأسود: من أمثلة الظل الضار ما ورد فى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿*وظل من يحموم، لا بارد ولا كريم*﴾ (الواقعة: ٤٣،٤٤). ان ذكر الظل الضار يعتبر سبقًا قرآنيًا، لأن اليحموم عبارة عن دخان أسود حار سيئ المنظر، ومثاله مايعرف الآن باسم «الضبخان» smog (السحابة السوداء)، ويتكون من الضباب والدخان، ولم تعرف ظاهرة الضبخان الا بعد الثورة الصناعية وانتشار الملوثات من أدخنة وأبخرة ساخنة متصاعدة، فى وجود ظروف مناخية معينة، تؤدي الى تكون سحب سوداء من الضبخان تحجب الشمس، ولكنها تضر بالصحة وتزيد من ارتفاع درجات الحرارة والشعور بجو خانق، ومن جانب آخر فانها سيئة المنظر.

الخلاصة ونتائج البحث:

أورد البحث وجوه الاعجاز العلمى في ذكر القرآن لنماذج محددة لكل من الظل النافع والظل الضار، وهو ما يعد اعجازًا وسبقًا قرآنيًا بكل المقاييس العلمية التى تم التوصل اليها حديثًا، حيث أن كل البشر وقت نزول القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا لم يكونوا يعرفون الا الظل النافع، ولم يتخيل أحد منهم أى وجود للظل الضار أو ظل العذاب الا بعد أن نبهت اليه بعض الآيات القرآنية، وأثبته العلم الحديث متمثلاً فيما يعرف باسم «الضبخان» أو «السحابة السوداء». ان حديث القرآن الكريم عن وصف أسلوب حركة الظلال وأنواع الظل المختلفة، بحيث يعطي رؤية شاملة ومتكاملة لهذه الظاهرة الطبيعية، دونما أي تعارض مع الحقائق العلمية الحديثة، يعتبر شاهدًا للقرآن الكريم بأنه كلام الله الذي أنزله بعلمه على المصطفى صلى الله عليه وسلم، ليهدي به البشر في كل زمان ومكان وليريهم طريق الحق الواضح المبين.

---

* عضو الهيئة العالمية للاعجاز العلمى فى القرآن والسنة. وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع: www.quran-m.com

ذبح الحيوان قبل موته ضمان لطهارة لحمه من الجراثيم والميكروبات

الدكتور جون هونوفر لارسن*

تقديم:

تعد قضية الذبح التي يأمر بها الإسلام قبل الإفادة من لحم الحيوان - الذي أحله الله - من جملة القضايا الساخنة التي دارت معارك كلامية وحوارات مع الأقليات المسلمة، في كل من بريطانيا، وأمريكا، وفرنسا، وغيرها حولها. وتعد جمعية الرفق بالحيوان في هذه البلدان وغيرها من أبرز الجمعيات التي تثير هذه القضية، وتستنكرها، وتظهر مناظر الأغنام بعد قيام المسلمين بذبحها وهي ترفس بأطرافها وتتلوى؛ علمًا أن التقدم العلمي يقدم الأدلة الواضحة على صحة تلك الشرائع الربانية، وحكمتها السامية، ومن ذلك ما نسمعه من كلام أهل الاختصاص في قضية ذبح الحيوان المقررة شرعًا. ولتجلية فوائد ذبح الحيوان طبيًا قبل الإفادة من لحمه وبقية أجزائه، اعتبر الدكتور جون هونوفر لارسن أن لحم الميتة يشكل مستودعًا للجراثيم، ومستودع للأمراض الفتاكة، والقوانين في أوروبا تحرم أكل الميتة.

اكتشف مؤخرًا أن هناك علاقة بين الأمراض التي يحملها الحيوان الذي يموت مختنقا وبين صحة الإنسان. حيث يعمل جدار الأمعاء الغليظة للحيوان كحاجز يمنع انتقال الجراثيم منها - حيث توجد الفضلات - إلى جسم الحيوان وإلى دمه طالما كان الحيوان على قيد الحياة. فإذا حدث للحيوان خنق فانه يموت موتًا بطيئًا. وتكمن الخطورة في هذا الموت البطيء عندما تفقد مقاومة الجدار المغلف للأمعاء الغليظة تدريجيًا مما يجعل الجراثيم الضارة تخترق جدار الأمعاء إلى الدماء وإلى اللحم المجاور. ومن الدماء تنتقل هذه الجراثيم مع الدورة الدموية إلى جميع أجزاء الجسم لأن الحيوان لم يمت بعد، كما تخرج من جدار الدماء إلى اللحم بسبب نقص المقاومة في جدر هذه الأوعية الدموية فيصبح الحيوان مستودعًا ضخمًا لهذه الجراثيم الضارة.

لا يشعر الحيوان بألم الذبح لكنه يشعر بألم الضرب والخنق وغيره

وهناك تشابه في الخطورة بين موت الحيوان خنقا وبين موته ضربًا. حيث يصاب هذا الحيوان كذلك بالموت البطيء كالمختنق تمامًا فيقع له ما وقع للمختنق؛ وزيادة على ذلك فان الضرب يتسبب في تمزيق الأوعية الدموية في مكان الضرب، كما يمزق الخلايا فيه، فيختلط تركيب الدماء مع تركيب الخلايا مما يتسبب في حدوث تفاعلات للمواد السامة الضارة. ولذلك تلحظ وجود تورم يقع في مكان الضرب إن هذا التورم الحادث سببه وجود التفاعلات الكيميائية الضارة التي أصبحت مولدات لمواد سامة إلى جانب التسلخ الذي يحدثه الضرب بجسم الحيوان. وبهذا يصبح الحيوان الذي مات من الضرب مستودعًا للجراثيم الضارة وخطرًا على صحة الإنسان.

أما إذا ذبح الحيوان قبل موته تخلص الجسم من هذه المادة التي تسبب انتقال هذه الجراثيم إليه؛ لأن الدم هو السائل الحيوي المهم في جسم الكائن الحي والذي يستطيع مقاومة ملايين الطفيليات بما يحويه من كرات بيضاء وأجسام مضادة مادام الكائن حيًا وفي درجة حرارته الطبيعية، فإذا مات الحيوان وتوقف الدم عن الجريان أصبحت الميكروبات بدون مقاومة، وفي هذه الحالة يكون أسلم الطرق هو الإراقة الكاملة لهذا الدم، وإخراجه من الجسم في أسرع وقت ممكن.

بالذبح يخرج الدم قبل لفظ السموم

وقد اكتشف العلم أن مراكز الإحساس بالألم تتعطل إذا توقف ضخ الدم عنها لمدة ثلاث ثوان فقط، لأنها بحاجة إلى وجود أكسجين في الدم باستمرار. أي إن هذا الحيوان لا يحس بالألم مع أننا نراه يرفس ويتحرك ويتلوى ويتخبط. فهذا سببه أن الجهاز العصبي لا يزال حيًا، وما تزال فيه حيوية، ولم يفقد منه غير وعيه فقط. وفي هذه الحالة مادمنا لم نقطع العنق فإننا لم نعتد على الجهاز العصبي فتظل الحياة موجودة فيه، لكن الذي يحدث في عملية الذبح - أي بطريقة المسلمين - أن يبدأ الجهاز العصبي بإرسال إشارات من المخ إلى القلب طالبًا منه إمداده بالدماء لأنها لم تصل إليه. وكأنه ينادي: لقد انقطعت عني الدماء.. أرسل إلينا دمًا أيها القلب، يا عضلات..أمدي القلب بالدماء، أيها الجسم..أخرج الدماء فإن المخ في خطر.

التشنج والرفس بعد الذبح عضلي وبعد خروج الروح

بالقتل تخرج السموم من الدم إلى الجسم

عندها تقوم العضلات بالضغط فورًا ويحدث تحرك سريع للأحشاء والعضلات الداخلية والخارجية، فتضغط بشدة وتقذف بكل ما فيها من دماء، وتضخها إلى القلب، ثم يقوم القلب بدوره بالإسراع في دقاته بعد أن يمتلئ بالدماء تمامًا فيقوم بإرسالها مباشرة إلى المخ، ولكنها - بطبيعة الحال - تخرج للخارج ولا تصل إليه، فتجد الحيوان يتلوى، وإذا به يضخ الدماء باستمرار حتى يفرغ جسم هذا الحيوان تمامًا من الدماء..وبذلك يتخلص جسم هذا الحيوان من أكبر بيئة خصبة لنمو الجراثيم، وأخطر مادة على الإنسان.

الخلاصة:

إن الحيوان المذبوح يفقد الحياة خلال ثلاث ثوان فقط إذا ذبح بالطريقة الصحيحة، وإن ما نراه في الحيوان من رفس، وتشنج، وما شابه ذلك هي مؤثرات بقاء الحياة في الجهاز العصبي ولا يشعر الحيوان المذبوح بها على الإطلاق. لقد وردت كل هذه الأسرار الطبية والحكم الصحية في طيات هذا الكتاب العزيز حيث قال الله: ﴿ *حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ...* ﴾ (المائدة ٣)

---

* أستاذ قسم البكتريا في مستشفى غيس هوسبيتال - المستشفى الرسمي - اكبر مستشفيات كوبنهاجن. وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع www.eajaz.org

نبات ينمو في خلايا حيوان:

معجزة (الطحلب) وحيوان (السلمندر) آية من آيات الله في النفس والآفاق

بقلم وديعة عمراني*

بسم الله الرحمن والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين. أما بعد، في مقالنا – هذا – سنحاول أن نطرح آية أخرى من آيات الله في النفس والآفاق، وهو حدث علمي غريب تمَّ اكتشافه مؤخراً !! صدم وفاجأ العلماء بنوعيته وغرابته!! فطرحوا حوله عدة علامات استفهام ولسان حالهم يقول : أمعقول أن يحصل هذا في الطبيعة !! فما هو هذا الحدث :

١– من الطبيعي أن نجد – مثلاً – قمح ينبت في الحقول والأراضي الزراعية، وينمو ويتكاثر حتى يطرح غلته، ولكن سيكون غريباً على مسامعنا أن نرى أن قمحاً نمى في معدة وجوف إنسان، وتكاثر كتكاثره في تربة الأرض.

٢– و من الطبيعي أن نسمع – أيضاً – عن عنكبوت ينمو ويتكاثر في خفايا الجدران والنبات والأشجار والهواء الطلق، ولكن من الصعب علينا أن نسمع عن نفس العنكبوت يعيش وينمو ويتكاثر طبيعياً في جوف بقرة أو جاموسة !!..

فكل نبات وحيوان، أو عصفور وحشرة، له بيئته الخاصة التي يعيش فيها وينمو ويتكاثر بشكل طبيعي، النبات في الأراضي، والسمك في البحار، والطيور في الأرض والهواء .. وهكذا.

صورة لسلمندر صغير عليه بقع صفراء

ومن المستحيل – على العقل – أن يتقبل غير ذلك !! ولا سيما حصول أي نوع من التجانس بين النبات والحيوان، أو الفقريات واللافقاريات، فيمكن– مثلا– لذبابة أن تتكاثر فوق جلد جاموس أو بقرة، أم أن تعيش داخلها بكل منظومتها الحيوية والبيئية فان هذا يعتبر من الأمور المستحيلة ؟! أما ما تم اكتشافه.. هو حدث غريب قلب كل هذه الموازين رأساً على عقب، فقد عثر العلماء على نوع خاص من الطحالب (البحرية) تعيش وتنمو وتتكاثر بشكل

طبيعي (في تكافل مدهش) داخل جسم أحد أنواع (السلمندرات)، والسلمندرات هو نوع من أنواع البرمائيات كالضفادع والسحليات وغيرها . .

الطحلب المكتشف من أنواع الطحالب (المائية) يلقب علمياً – Oophilia a blystomatis أما السلمندر فهو من نوع salamandre Ambystoma maculatum (انظر الشكل ١–٢)

فهذا النوع من السلمندرات يطرح عادة بيضه في الجداول وعيون المياه، ومن خاصية هذا البيض أن يجمع حوله بعض الأنواع من الطحالب البحرية، ولوقت قريب كان العلماء يعتقدون أن وجود هذا النوع من الطحالب بالضبط وبكثافة حول هذا البيض، إنما كان بهدف تنقية المياه حول البيض من النفايات الغنية بالنيتروجين، مع زيادة تركيز الأكسجين في المحيط المذكور.

ولكن في مؤتمر علمي خاص بالفقريات عقد في بونتا دل ايستي في الأوروغواي مجموعة أخرى من الآراء والملاحظات. فلقد لاحظوا أن تلك الطحالب التي تحيط ببيض السلمندرات لم تكتفي بتواجدها في محيط ذلك البيض، وإنما عملت على اختراق خلايا ذلك البرمائي أيضاً، لتعيش وتنمو داخله كما تنمو في المياه والبحريات، وهذه الظاهرة فاجأت العلماء بشكل كبير، لأنها الأولى من نوعها !! أن يعيش طحلب ضوئي(نباتي) داخل جسم للكائنات الفقارية!!

انه لغز كبير حَيَّر العلماء بكل معنى الكلمة، لأن أجسام جميع الفقريات مجهزة بجهاز مناعي جد متطور، يجعل

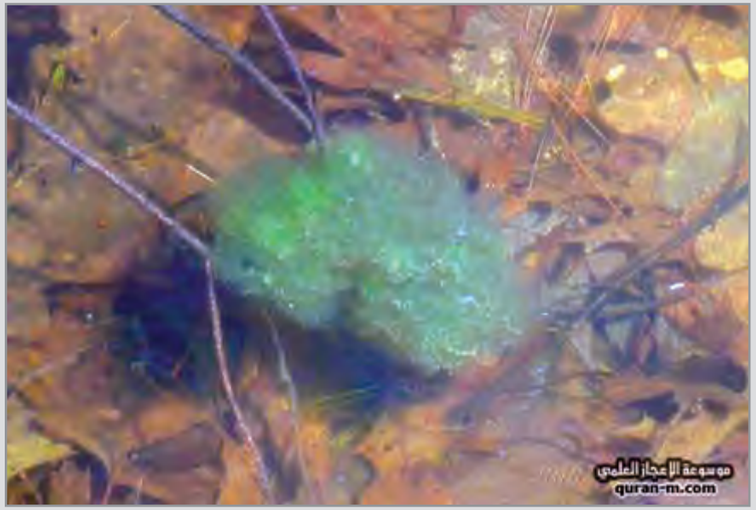

الشكل ١: الطحلب المائي Oophilia amblystomatis

الشكل٢ : السلمندر البرمائي salamandre Ambystoma maculatum

من المستحيل دخول خلية أجنبية في تلك المنظمة، لأن الجهاز المناعي عادةً سيحاربها ويرفضها !! ولكن على ما يبدو أنَّ النظام المناعي لذلك النوع من (السلمندر) معطل، أو أنَّ تلك الطحالب لها خاصية فريدة، أهلتها وأعطتها القدرة على اختراق ذلك النظام الدفاعي وتجاوزه.

وفي الحقيقة لكي يسمح هذا (السلمندر) البرمائي لذلك النوع من الطحلب بالعيش داخله، بما في ذلك تهيئ محيط مناسب له، فلا بد أن يستفيد هو أيضاً من هذا التواجد، وذلك وفق نظام التكافل. ولذلك طرح العلماء دراسة تقول أن هذا الطحلب يُعتبر مصدر طاقة كبير لذلك السلمندر، وذلك بعملية التمثيل الضوئي التي يقوم بها الطحلب داخل خلايا السلمندر، فتوفر بالتالي تلك العملية مصدر كبير

الشكل ٣: يظهر في الصورة نبات الطحلب (اللون الأخضر اللامع) وقد اخترق بيض السلمندر (سبحان الخالق)

للأوكسجين والكربوهيدرات والسكريات، التي تعتبر غذاء وطاقة مهميْن لجسم السلمندر.

وفي الواقع عند رصد نشاط (خلايا) البيض لهذا الضفدع بالمجهر الالكتروني الدقيق تبيَّن أن (الميتوكوندريا) الخاصة بخلايا ذلك (البرمائي) تجتمع هي بدورها حول نظام هذا التكافل التي يمنحه لها الطحلب، وذلك من خلال وظيفتها الخاصة في تحويل السكريات داخل الخلية إلى جزيئات لنقل الطاقة.

وظيفة الميتوكوندريا (المتقدرات) وتكافلها مع خلايا الطحلب :

الميتوكوندريا (المقتدرات) كما هو معلوم مكون أساسي من مكونات الخلايا، فهي عضيات سابحة في بروتوبلازم الخلية، يعبر عنها بمحولات الطاقة في الخلية (خزان عظيم لطاقة الخلية)، لأنها تُشبه من الناحية الوظيفية بالآلة، فبداخلها يتم استخلاص كمية كبيرة من الطاقة المخزنة بالمواد الغذائية (كربوهيدراتية – بروتينية – دهون) من خلال دورة معقدة تسمى علمياً (دورة كريبس) بالتزامن بين الأكسدة والفسفرة.

تقوم المتقدرات بواسطة الانظيمات (الإنزيمات) الموجودة فيها باستخلاص الطاقة من المركبات المتواجدة في الخلية، ثم تستخدم هذه الطاقة في عملية إنتاج أدينوسين ثلاثي الفوسفات، وهو المركب الرئيسي لخزن الطاقة في الخلايا، و بعد تكوين أدينوسين ثلاثي الفوسفات يتم نقله إلى خارج المتقدرات، حيث يستخدم في العمليات المختلفة (مثال عمليات الاستقلاب).

فالميتوكوندريا – كما بيَّنا أعلاه – هي بنفسها تعمل على أساس نظام تكافلي، ووجودها قرب ذاك النظام التكافلي الذي منحه لها الطحلب، سمح لها أخذ المنتجات المشتقة منه وتحويلها إلى طاقة، فدور التكافل – اذن – يبدو واضحاً في هذه المعجزة !!

ولكن اللغز الآخر الذي حَيّر العلماء والباحثين في هذه الظاهرة (المعجزة) هو الوقت بالضبط التي استطاعت فيه تلك الطحالب اختراق خلايا جنين (السلمندر) ، فلقد لاحظوا أن عدد الطحالب ينمو نمواً لوغاريتميًا مع نمو الضفدع، مشيراً بذلك إلى فرضيتين:

الفرضية الأولى تقول : أن الطحالب تتكاثر خارج البيض في نفس الوقت الذي تتكاثر فيه الخلايا الجنينية (للسلمندر) ثم تخترق محيط البيض في مرحلة متأخرة، أو أن تلك الطحالب تخترق خلايا ذلك الحيوان بسرعة وتتكاثر مع كل انقسام لخلايا جنين (السلمندر) بشكل تلقائي.

شريط الفيديو يميل لترجيح الفرضية الثانية، فهو يُظِهر

وجود منطقة مضيئة قرب البيض عند تكوين الجهاز العصبي لجنين السلمندر، افترض العلماء أن تواجد هذا الكم الهائل من الطحالب قرب البيض سيتيح انجذاب الطحالب إلى النفايات النيتروجينية التي نفاها جسم السلمندر، وبالتالي استخلص العلماء حقيقة هامة مفادها : إذا كانت هناك طريقة لطرد النفايات يقوم بها جنين (السلمندر) داخل البيض، فيجب بالتبعية أن يكون هناك أيضاً وسيلة أو منفذ للدخول إلى البيض، تلك الوسيلة أو ذلك المنفذ ثمَّ استغلاله بشكل جيد من طرف الطحالب، فتمكنت من اختراق البيض واقتحام خلايا جنين (السلمندر).

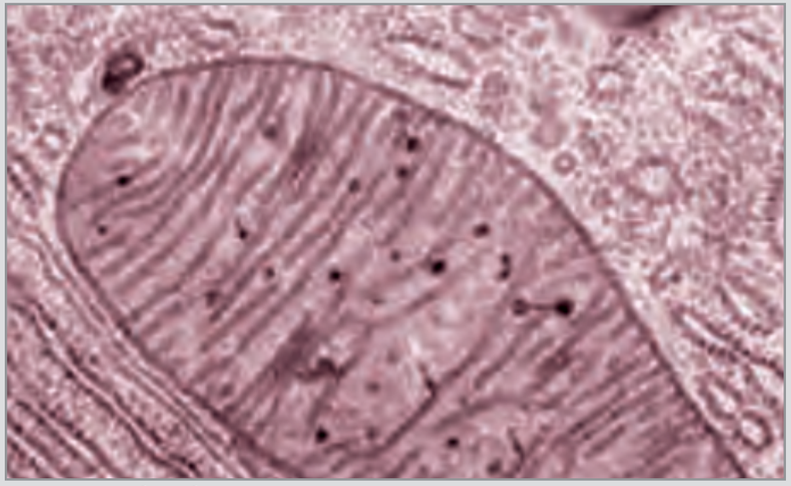

الشكل ٤: شكل حي ميكروسكوبي للمتقدرات (الميتوكوندريا) Mitochondrie

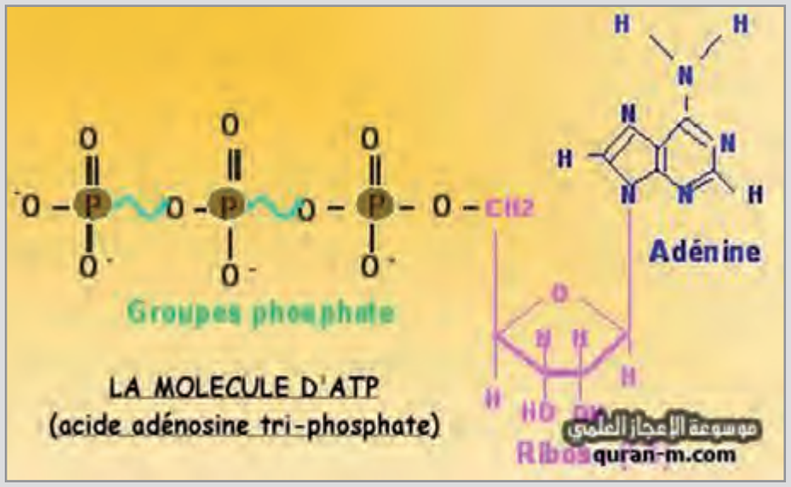

الشكل ٥: مركب أدينوسين ثلاثي الفوسفاتATP

وهناك ملاحظة أخرى هامة لاحظها الخبراء بأن الطحالب تكون موجودة بالفعل في مرحلة مبكرة لنمو الجنين، حيث لوحظت خلايا ذلك الطحلب في قناة المبيض (للسلمندر) الأم ، وبالتالي يمكن أن تنتقل تلك الطحالب من نسل إلى نسل، حتى خارج الخلية وذلك في الغشاء الهلامي المحيط بالبيض عند طرحه تناسلياً.

اعتبر العلماء أنَّ ما تم اكتشافه أمر معجز، فتح لهم الطريق أمام حقائق علمية أخرى كانت غائبة عنهم، مما حفَّزهم إلى توسيع دائرة أبحاثهم بغية الوصول إلى نماذج أخرى من نماذج التكافل بين سائر المخلوقات !! منطلقين من قناعة تامة أنهم لم يصلوا بعد إلى كل أسرار وقوانين الطبيعة، فما زالت هذه الأخيرة تضعهم أمام مفاجآت عدة !! يعجزون عن تفسيرها وفق معلوماتهم العلمية السابقة.

تأمل علمي:

حقيقة نقف إزاء هذا الحدث أمام أوجه عديدة من أوجه الإعجاز، وأمام آيات عظيمة من آيات الله في النفس والآفاق، فكما قلنا في مقدمة هذا البحث، أنه كان من المستحيل المطلق في الأوساط العلمية الغربية، أن يتم

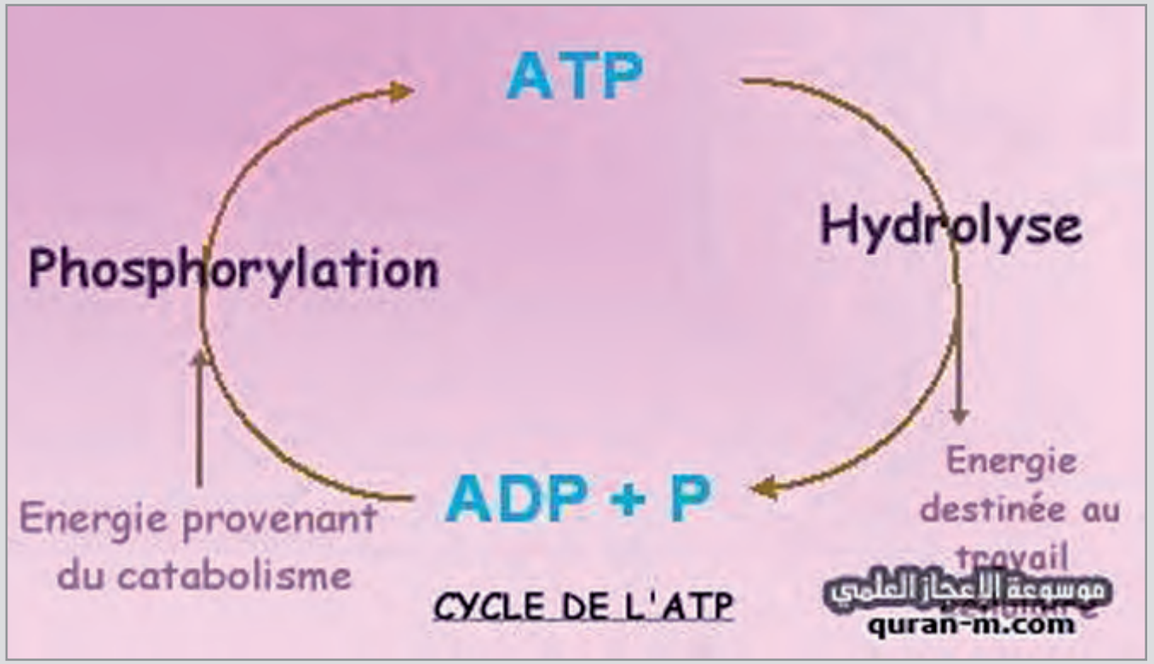

الشكل ٦ : دورة إنتاج الطاقة (ATP) التحلل والفسفرة

العثور على مثال هذا التكافل بين حيوان فقري ونبات، فأنْ يعيش طحلب نباتي وسط خلايا (حيوان برمائي) بكل منظومته كما يعيش في المياه والأنهار، فذلك حدث يدخل في نطاق المعجزات.

فمن أَمَر ذلك الحيوان (البرمائي) أن يحتضن نبات طحلبي داخل خلاياه ؟! بما يتطلب ذلك من توفير كل البيئة المناسبة للطحلب، وبما يوافق أيضاً جسم (السلمندر) ونظامه الدفاعي، انها حالة نادرة ومعجزة كما وصفها العلماء، هي معجزة من معجزات خالق هذا الكون، العليم الخبير بكل حيوان ونبات و قطرة ماء وخلية ونظام.

العبرة والقياس:

تذكرنا هذه المعجزة بمعجزة إلهية عظيمة وصفها لنا الحق في قصة سيدنا يونس عليه السلام حين أمر الله تعالى الحوت أن يلتقم (النبي يونس عليه السلام) ويحتفظ به في بطنه إلى أن يصل وقت إلقائه، يقول الحق تعالى: ﴿ *وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ* [١٣٩] *إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ* [١٤٠] *فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ* [١٤١] *فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ* [١٤٢] *فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ* [١٤٣] *لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ* [١٤٤] *فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ* [١٤٥] *وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ* [١٤٦] *وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ* [١٤٧] ﴾ [الصافات : ١٣٩-١٤٧]

لو عرضنا هذه الآية الكريمة على علماء الغرب لما صدَّقوا بها !! ولكن ها هو الحق تعالى يرسل لهم من حين إلى حين معجزات أخرى من معجزاته، ويريهم أية أخرى من آياته العظيمة في النفس والآفاق، مصداقاً لقوله تعالى (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [فصلت :٥٣]

فهل وصل الوقت ليقف أولائك العلماء مع أنفسهم وقفة الباحث عن الحق، ليؤمنوا بما تحمل آيات الله تعالى من نور وبيان، أم سيظلون في عنادهم منكرون ومستكبرون!!

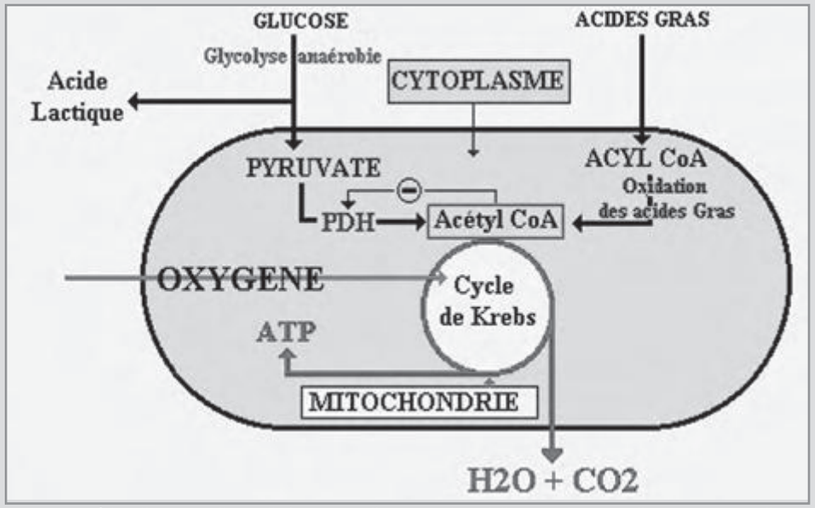

الشكل ٧ : يوضح النموذج عملية صنع الطاقة داخل جهاز (الميتوكوندريا) الشكل البيضوي باللون الأزرق يمثل (الميتوكوندريا) وبداخله تتم (دورة كريبس) (الدائرة بالأصفر)، فينتج عن ذلك الطاقة والماء الحيوي وثاني أوكسيد

* باحثة إسلامية ـ كلية العلوم. وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.quran-m.com

مراجع عربية:

تفسير القرآن الكريم (موقع الإسلام)
http://quran.al-islam.com/
/arb
– Krebs Cycle دورة كريبس

** مراجع أجنبية :*

نص الاكتشاف : Une salamandre photosynthétique : du jamais vu
http://www.futura-sciences.com/fr/news/t/zoologie/d/une-salamandre-photosynthetique-du-jamais-vu__24633/#xtor=RSS-8
Une salamandre photosynthétique
http://neofronteras.com/?p=3211
La mitochondrie, usine énergétique de la cellule (cycle de Krebs) , parait jouer un rôle fondamental dans le vieillissement
http://www.esculape.com/bricabrac/vieillimitochondrie.html
Le métabolisme énergétique
http://www.keepschool.com/cours-fiche-le__metabolisme__energetique__1.html
Le cycle de Krebs ou cycle des acides tricarboxyliques
http://webiologie.free.fr/cellules/metabolisme/krebs.html
biochimie animée
http://www.fmed.ulaval.ca/bcx/bio__anim/cycle__krebs__02.html
Oophila amblystomatis
http://en.wikipedia.org/wiki/Oophila__amblystomatis

إضمن نسختك القادمة من «الإعجاز»

بغية تسهيل وصول المجلة إلى المشتركين الكرام وللإسراع في إيصالها سوف يتوقف إرسال المجلة باليد عما قريب وستعتمد طريقة إرسالها بالبريد فقط عبر شركة «ليبان بوست».

لذلك يرجى من المشتركين الكرام إرسال عناوينهم الواضحة إلى إدارة المجلة عبر الفاكس أو عبر البريد الإلكتروني أو هاتفيًا على الأرقام المدونة في أسفل الغلاف الأخير.

Iqraa - Read!
in the name of your Lord

Dr. Yahia Abdul Rahman*

Muhammad صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ a mercy to humankind.

{God did confer a great favor on the believers when He sent among them an apostle from among themselves, rehearsing unto them the Signs of God, sanctifying them, and instructing them in Scripture and Wisdom, while, before that, they had been in manifest error}. Quran 3:164

One of the most important aspects of our faith is to understand, deeply love and most closely emulate the character of the Prophet Muhammad. This aspect of our faith is manifested when we pronounce Shahada. It consists of two inseparable parts: That God is one and that Prophet Muhammad is His last Prophet and Messenger.

Unfortunately we find that emulating the Prophet stops at trying to emulate the outward appearance of his image; i.e. the way he looked without focusing on the way he behaved as he applied the Quran to his character and his way of living. Many of us, especially those who are in the role of leaders and Imams of the Muslims do not put enough emphasis on educating the masses on expressing his or her love of the Prophet by emulating his character.

Michael Hart, in his book « The 100: A Ranking Of The Most Influential Persons In History: « chose Muhammad to be at the top of his list followed by Newton and Jesus. He states: «He was the only man in history who was supremely successful on both religious and secular levels.»

The spread of Islam.

Within 100 years this evolution of the Islamic System and model community started by the Prophet Muhammad over shadowed the long established Persian «Sassanian» and the Byzantine Empires.

Islam swept through Iran and Iraq to Bukhara, Uzbekistan in the east then to China and many other Asian lands, to Syria, Lebanon, Palestine, Egypt and then North Africa to the West, to Spain, and many European lands.

Before Prophet Muhammad , people of Arabia lived as nomads and their most recognized business was Poetry and trading. In 100 years Baghdad became the center of the Civilized World.

In a world that existed over 1,400 years ago with no radio, no TV and no radio & TV correspondents, no telephone and cellular phones, no fax machines, no copiers, no e-mail, no internet and other facilities we enjoy today how did Islam spread so rapidly? What was the Secret? Why was the Prophet and his trained successors and followers so successful in capturing people>s imagination and propelled them as leaders of the world?

Casualties in military expeditions.

Research on the evolution of the Islamic System and Community under the leadership of Prophet Muhammad that changed the course of world history was achieved at the cost of 1018 lives over a period of 23 years! Here are some facts to ponder:

1.Number of Military Defense Expeditions: 80, the Prophet participated in about 27 of them and a small number did not even involve any fighting.

2.Number of Muslims who died in battle 259.

3.Number of non-Muslims - mostly pagans - was 759.

Contemporary Muslim writers and speakers point with pride to the fact that this number is dwarfed by:

1.The 13 million who died during the Russian Revolution of 1917 and the 20 million killed by Stalin,

2.The thousands who were killed in the French Revolution and the Thousands who died in the American Civil war

3.Thousands killed in Hiroshima and Nagasaki.

We Muslims like these comparisons because it gratifies our pride. However, there is another comparison that many of us, Muslims, are silent about. That is the number of people who died in Islamic liberation efforts over the years and what was achieved? Of course no one wants the pain of such an admonishing fact but it is important to educate ourselves about this issue. Following are some facts to reflect on.

The 20th Century has seen grand «Islamic» revolutionary movements, great «holy wars» in the Muslim world. Here is the cost:

1.Two and a half million dead in the Algerian War of Liberation and independence

2.500,000 killed in the independence struggle of East Pakistan - now Bangladesh,

3.10 million lives lost in the formation of the Muslim state of Pakistan.

4.Several Million people have died for Islam in Egypt, Iran, Iraq, Palestine, Syria, Yemen and various other countries.

And for all these sacrifices very little was realized!

At the cost of 1018 lives, the revolution that was started during the time of Prophet Muhammad sparked a renaissance that changed the world. While the «Islamic» movements of modern times have yielded little achievement.

At the age of 40 the Prophet was commissioned to become the final prophet and messenger of God. Through Muhammad God convoyed his final and complete message that included all the prior messages to mankind in the Holy Quran. The divine message that Muhammad was asked to promote was at a time when Arabia was drenched in uncivilized practices and despair. e.g.

1.The rich were getting richer and the poor were getting poorer and slavery was the order of the day,

2.The most fertile lands and border settlements of Arabia was occupied by the Byzantine / Romans and by the Persian Sassanid>s, and

3.The Kaabaa - the first house ever built to worship and glorify Allah - God - was full of over 370 idols.

God could have revealed to Prophet Muhammad:

•Ya Muhammad - Start a social revolution by which assets are taken from the rich and given to the poor....but He almighty, did not do that!

•Ya Muhammad - prepare a popular uprising to liberate the lands of Arabia from the occupiers ...did He do that? The answer is no!

•Ya Muhammad - start a military campaign and fight the unbelieving pagans in order to recapture the Kaabaa and clean it out of the idols ... did he do that? The answer is no!

Read! in the name of your Lord

We all know what the first word of the revelation of the Quran was: «Iqr>aa» (READ!). This aspect of the Quran that encourages us to acquire knowledge inspired the early Muslims to excel in all aspects of social and scientific fields.

Today if we analyze the reading habits and education among Muslims, following are some facts:

1.Muslims cannot read because over 70% of the 1.2 billion - we boast about are illiterate.

2.Muslims who know how to read, do not read! We do not educate ourselves.

a.There are 57 member-countries of the Organization of Islamic Conference (OIC), and all of them put together have around 500 universities; one

knowledge is being diffused in a society. In Pakistan, there are 23 daily newspapers per 1,000 Pakistanis while the same ratio in Singapore is 360. In the UK, the number of book titles per million stands at 2,000 while the same in Egypt is 20.

h.As for the Arab world: the average Arab reads 12/ hour per year or the equivalent of 12/ page per year as compared to the average American at 11 books per year and the average British at 7 books per year!

In conclusion, the Muslim world urgently needs to increase its capacity to produce, diffuse, and apply knowledge.

Even though the above statistics show a bleak picture, there are several initiatives in progress that give me hope: «Muslims are gradually rediscovering the importance of education. I am sincerely optimistic about the future because what is being done today and was done in the past 40 years is yielding positive results that, God-willing, will change not only the fortunes of the Muslims in America but all of humanity.»

In the end I would like to remind my self, my family and each one of us - especially the mothers - let us PLEASE put our children in the habit of reading from the youngest age possible.

** Adapted from a Friday sermon delivered by Dr. Yahia Abdul Rahman at the Culver City Mosque in California.*

Over the last few decades Dr. Yahia has led a distinguished career in the world of banking and finance. In 1987, he founded the American Finance House - LARIBA in Pasadena, California. Specializing in interest-free lending.

For over a generation, Dr. Yahia has educated Muslims and non-Muslims alike on how the integration of the divine teaching of Islam into our lives provides the greatest of benefits and blessings.

Complete article is found on the web site www.IslamiCity.com. Article Ref: IC07043274-

الكلمة الطيبة

محمد فرشوخ

انتاب الشباب شيء من القلق خلال شهر رمضان الفائت وصاروا يتخافتون فيما بينهم، لماذا لا يرد الحكيم على الهاتف وهل هو بخير لعله ذهب إلى العمرة أو سافر في احدى رحلاته الدعوية شرقًا أو غربًا.

إلى أن أتى الخبر من أحد المقربين أن الحكيم معتكف في المسجد طيلة العشر الأواخر من رمضان. وأن بالامكان رؤيته خلال أداء الصلوات الخمس، وأن له جلستين عامتين يوميًا بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر لمن يشاء. عدا عن الجلسات الخاصة لذوي الحاجات والاستشارات.

عند ذلك توافقت مجموعة من الشباب على قصده مع أذان الفجر فوجدوه يقرأ القرآن بانتظار إقامة الصلاة. وحين رآهم أومأ برأسه رادًا السلام مرحبًا بهم بابتسامة عريضة. كان في غاية التألق وفي منتهى الأناقة.

في الصلاة قرأ بصوت رخيم يملأ الأسماع ويخترق القلوب من سورة ابراهيم... ﴿*أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ [٢٤] تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ* [٢٥] *وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ*[٢٦]﴾ فقدرنا انها ستكون موضوع الجلسة بعد الصلاة. وهكذا كان.

بدأ الجلسة بالدعاء والافتقار إلى الله والترحيب بالقادمين من بعيد ثم شرع يعرض ما قاله المفسرون من قبل في هذه الآيات الكريمة. ثم انطلق بما فتح الله عليه قال: الكلمة الطيبة درجات، يفهم منها أولاً كل كلمة طيبة تخرج من افواه الناس؛ تصلح بين المتخاصمين وتهدئ من روع المذعورين وتواسي قلوب المحزونين وفي ذلك قوله تعالى في سورة فاطر: إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ.

والدرجة الثانية من الكلم الطيب، قول لا إله إلا الله والدعوة إلى الله، لقوله تعالى في سورة الحج: ﴿*وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ*﴾.

والدرجة الثالثة هي كلام الله تعالى في القرآن الكريم، وهو سرٌ من أسرار القرآن وإعجاز من

إعجازه الدائم المستمر.

القرآن أيها الأحبة ليس كلامًا يقرأ ويعاد فحسب، وليس فقط آيات يستشهد بها عند الحاجة لدعم فكرة أو تأييد موقف. إنه كلام الله تعالى الذي خلق الانسان وأعطاه البيان بالقرآن. إنه «الكاتالوج» كما يقال في لغة العوام. من أراد أن يعرف بواطن النفس فعليه بالقرآن وان احتاج أن يستشفي من أمراضها فعليه بتقصي الآيات. القرآن يعالج في الانسان أمراضًا كثيرة ويحرره من عقد نفسية خطيرة من حيث يدري أو لا يدري، وكلما عاش المرء مع القرآن كلما تحرر من عقده المستعصية وعاداته السيئة، ومن تعهد القرآن بالقراءة والتدبر تعهده القرآن بالطمأنينة والسكينة. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد ٢٨).

لكن السر الأهم في القرآن هو هذا النبع الفياض من المعاني، والمعين الذي لا ينضب من الحكم، والأزاهير التي تتفتح بلا انقطاع. وكلما بلغ المؤمن معنًى عميقًا ظن أنه وصل إلى القعر واذ به يفاجأ بأن تحته معانٍ أعمق وأعمق، ومن تعود ختم القرآن وأحب القرآن وصاحبه ولازمه وجالسه، لمس هذا السرّ وأقول لمس ولا أقول عرف فالمعرفة تحتاج إلى جهد لا يبذله الا النخبة التي عرفت أن وراء هذا الكلم الطيب كلمة طيبة أولى وواحدة هي: [الله].

ومن أراد أن يفهم المقصود فليقرأ من سورة النور قوله تعالى: الله نور السموات والأرض. من زرع اسم الله في قلبه أضاءت له معارف السماء والأرض وأشرق قلبه بالحقيقة التي ليس فوقها حقيقة فلا موجود ولا معبود ولا مقصود إلا الله تعالى. وصارت الدنيا مطية الآخرة والآخرة معبرًا لنيل القرب والرضى.

وهنا نصل إلى الدرجة الأعلى من الكلم الطيب، وهي اسم الله الأعظم الذي اذا سئل به أعطى واذا دعي به أجاب، يزرع في أرض القلوب، ويسقى بماء الحب، ويحرث بصحبة أهل الله حتى إذا تمكن وتجذر نقّى القلب والعقل والنفس والجسد مما يعكر ويشغل ويؤذي، وصار أمر المؤمن كله إلى خير، لا يقول الا خيرًا ولا يعمل إلا صالحًا ولا يفكر الا بالصلاح والتقوى ولا يضمر إلا الخير والحب.

كلما دعوته لبى، وكلما سألته أعطى وكلما استشرته أفاض بالحكمة والموعظة الحسنة. فصار حقًا خليفة الله في أرضه.

اترك التوسع في شرح الدرجة الأخيرة هذه لوقت آخر، ومن صمد وثابر حصّل وجنى في الدنيا قبل الآخرة وذلك هو الفوز الكبير. استودعكم الله وكل عام وانتم بخير. وانتهت الجلسة وقام الجمع الى صلاة الضحى.

Narrow Spaces Exist For MF 100

Continuous hp: 1.5HP
Max Users weight: 110 Kgs
Speed: 1-13Km/hr
Feature: 100% PRE-ASSEMBLY
Display: 1 LCD display with blue backlit
Programs: 1 Manual, 5 present programs
Program Level: 3
Workout: Time, distance, Calories, Pulse Speed, Workout profile
Heart Rate: hand grips pulse
Quick key on console: 4 quick keys for speed (4,6,8,10)
Running belt: 16" *48"

29 $ / Month

SINNO SPORT

Beirut, Unesco Crossroad Verdun 01-782781, Manara 01-742741

Opening Soon in JEITA

Mazen World

TOYS
FURNITURE
BABYWEAR
ACCESSORIES

The Biggest World of TOYS!

Corniche el Mazraa
01 300 444

Dbayeh Highway
04 402 388

Sodeco Square
01 398 891

Le Mall SAIDA
07 726 526

www.fakhourymotors.com

TRULY YOURS®

FAKHOURY MOTORS

LUXURY THAT MOVES®

خالص الأجرة
لبنان
LIBAN
P.P.
MAZRAA

ب. ٣٧١
P. 371

الإعجاز

علمية - دينية - فصلية
تصدر عن منتدى الإعجاز العلمي في القرآن و السنة لبنان

بيروت، لبنان
جادة الراشدين – تقاطع بسترس الصنائع
سنتر مونتي مارينا-بلوك C ط٣
هاتف:٩٦١١٣٤٦٦٩٩+ – فاكس: ٩٦١١٣٤٦٦٨٨+
بريد إلكتروني: iijazforum@gmail.com